ABIR - No 310

.. وانتعش الرجاء

أوقدت "جاكي براندجان" شمعة ، وهي تعلم أنها بحاجة إلى معجزة لإنقاذ ضيعتها من الإفلاس . ثم أتت الاستجابة لدعواتها من حيث لا تدري . "جابرييل" الملقب بالذيب ، فارع الطول ، رث الثياب ، قد جاء من "أقصى الشمال" وأصبح عامل الزراعة الجديد في ضيعتها ، يعمل لقاء وجبة ، ومكان يعلق فيه قبعته .

ولكن ، هل يزيد هذا الرجل الذي يصلح الأسوار بسرعة خارقة على كونه من دم ولحم ؟ إن قبلاته تلهب جسدها وروحها .. ولكن ، ما ذلك السر الذي لا يدعها تشاركه فيه ؟ أهو أجنحته ؟ إنه بالقطع جعلها تشعر بنفسها كامرأة . هل يمكن لإنسان أن يطول السماء بين يدي ملاكها الخاص ؟

ثمن النسخة

لبنان	٣٠٠٠ل	الكويت	١ د	مصر	٣ ج
سوريا	١٠٠ل	الامارات	١٢ د	المغرب	١٥ د
الاردن	١,٥د	البحرين	١,٥ د	ليبيا	١ د
العراق	٢د	قطر	١٢ ر	تونس	١,٥ د
السعودية	١٥ر	مسقط	١,٥ ر	اليمن	٥٠ ر
Canada	5 $				
U.K.	1.5 £				
France	15 F.F				
Greece	1200 Drs.				
Cyprus	1.5 P.				

www.liilas.com ريما

بات چيل

هبة من السماء

ريما www.liilas.com

الفصل الأول

معجزة ! إن ماتريده "چاكلين برانيجان" بكل إلحاح ، هو معجزة . ليست مجرد يد تمتد بالمساعدة ، ولكن معجزة حقيقية بكل ماتحمل الكلمة من معان . ليس اقل من ذلك يخرجها من المازق الذي هي فيه . وكانت قد بلغت من العمر ، ومن النضج ، ان تعلم ان العالم قد اصبح خاليا من المعجزات .

بلغت من العمر ، ومن النضج ... وربما ... ولكن ، مازال بها جزء من "چاكي" ، مهما بلغ من الصغر ، يجعلها تعتقد ، وتتعلق بالأمل بانه بصورة ما ، بكيفية ما، من مكان ما ، قد تاتي المعجزة . كان املا مبنيا على إيمان الطفلة التي كانت يوما ما . ولم يكن امامها من خيار اخر . و"چاكي" قد فعلت الشيء الوحيد الذي لم يعد في استطاعتها إلا ان تفعله ان تذهب إلى الكنيسة الصغيرة وتستغرق في الدعاء .

إنها لم تدخل الكنيسة في "سان چوان كابسترينو" منذ عامين - لا ، بل ثلاثة اعوام . وطاف بذهنها وهي تاخذ طريقها عبر الممر المتاكل ، الذي قيست جوانبه غير المستوية ذات يوم باقدام رهبان طائفة الآباء

اليسوعيين الذين بنوه اول مرة . كانت تاتي لهذا المكان وهي طفلة مرارا بصحبة جدها . هي واخوها التوءم "كاليب" ولكن "كاليب" لم يكن يحب ان ياتي لهذه الإرسالية ، او إلى الضيعة ايضا . فقد كان يراهما امرا متخلفا ، ينتمي للماضي . وكان "كاليب" مهتما بالمستقبل ، حتى منذ ذلك الحين . المستقبل والتقدم .

ولكن "چاكي" كانت تحب التجول حول حديقة الأزهار المعتنى بها جيدا ، وكانت تتمتع ، بلعبة الاختباء مع جدها في ممراتها الضيقة ، واريجها الزكي وكان كل ركن في الإرسالية حيا باشباح الماضي ، حتى كان بمقدورها ان ترى رهبان طائفة الآباء اليسوعيين والهنود وهم يعملون في هذا المكان .

وكان القدوم لهذا المكان يشعرها دائما بالأمن بصورة ما . كانت الإرسالية تمدها برابطة للماضي ، وتجعلها تشعر بانها جزء منه ، جزء من نسيج الحياة .

كانت الإرسالية بالإضافة إلى جدها ، والضيعة هي دعائم حياتها ، والصخور التي تتشبث بها وقت الأعاصير .

ولكم هي محتاجة إلى هذه الدعائم اليوم . محتاجة إلى ان تشعر بالأمن من جديد، ان تشعر بان الأمور ستستقيم بصورة ما ، وحتى إذا لم تكن ترى طريقة منطقية يتحقق بها ذلك .

وانسلت إلى داخل الكنيسة البارد المظلم ، بينما بقيت شمس الأصيل خارجها ، كما لو كانت قد فعلت ذلك من قبيل الاحترام لها . ولم يكن يضيء المكان سوى بعض اشعة من الضوء التي شقت طريقها خلال قضبان النوافذ المرتفعة .

وهي بالفعل محتاجة إلى العون . محتاجة إليه اكثر منذ ان قتل والدها في حادثة طائرة منذ احد عشر عاما مضت . إذ إنه وقتها ، كان لديها مكان تلجا إليه . وقتها جاء جدها ليضمها مع اخيها في كنفه . اعطاهما الماوى ، ولم يطلب لنفسه شيئا في المقابل .

وهو الآن محتاج إليها ، وليس امامها سوى ان تصلي من اجله ، لدفع ماسيحل به من اذى . محتاج منها ان تصلي .

وابتسمت في اسى ، وهي تتذكر السبب الأصلي الذي اتى بها .

ومضت تسير خلال الكنيسة الخالية التي يلفها الصمت ، إلى أن وصلت إلى المذبح الخشبي لتركع عنده ، شاعرة بصلابة مكان الركوع لركبتيها ، كمثل صلابة العالم الذي ينتظرها في الخارج .

وانطلقت زفرة من بين شفتيها وهي تضم يديها أمام صدرها .

وقالت لنفسها ، وهي تشبك يديها بقوة في ضراعة ، إن الأمور ستصير إلى الأحسن وبدا ظل ابتسامة تتشكل على زاويتي فمها ، إذ لكي تعتقد في ذلك ، يعني أن تستبعد كل منطق ، وأن تغلق عينيها عن الحقيقة الواضحة وضوح الشمس . أن تتناسى المطالبات المتأخرة المكدسة ، وموعد سداد القسط الثاني من القرض الذي اقترب ، عليها أن تفكر بقلبها ، لا بعقلها .

ولكن التفكير بالقلب لايثير عاطفة رجال البنوك ، وهي محتاجة لا لأن تثير عواطفهم بل لأن تدفع لهم ، وهنا مكمن المشكلة ، لايوجد معها ماتدفعه لهم..لاشيء ، سوى الضيعة القديمة . كنز جدها الغالي .

هذا بالتأكيد ، مالم تتشكل معجزة أمامها !

وأغمضت عينيها ، وأحنت رأسها إلى يديها المضمومتين . إنه نوفمبر ، أكثر بقليل من شهر قبل أعياد الميلاد . أليست أعياد الميلاد هي وقت حدوث المعجزات ؟ تساءلت يائسة في صمت . "ألاتوجد معجزة ملقاة هنا أو هناك ؟ معجزة صغيرة بقيت من عصر المعجزات؟

-"ليس من أجلي" همست في صوت رقيق مشحون بالمرارة والقنوط. من أجله هو من أجل جدي . إنه لايستحق أن يطرد من ضيعته بعد أن طعن في السن" .

وأتاها صدى صوتها وابتلعت ريقها بصعوبة ، وبدأت الأفكار تتقاذفها في غير اتساق ، وقد ملأ الرعب قلبها إشفاقا على الضيعة من الضياع .

وقد كان هذا جزئيا بسببهما ، هي وأخيها .

وفكرت والمرارة تملأ نفسها ، كيف أن "كاليب" بإمكانه إنقاذ الموقف . ولكن "كاليب" ذا التفكير العملي ، رجل الأعمال الناجح ، صاحب مكتب المحاماة الزاهر - وأصدقاؤه من مشاهير المحامين - لن يمد يد العون . لقد ذكر ذلك بكل وضوح ،وبكل برود . وكانت قد ابتعلت كل كبرياء

لديها ونهبت تستجديه . ولم يكن الاستجداء خليقا بها . ولو علمت لوفرت عليها أنفاسها وكبرياءها اللذين بذلتهما بلا طائل . فقد بسط لها وجهة نظره ، وكيف أن من مصلحتها أن تترك الضيعة تذهب لحال سبيلها .

من مصلحتها أم من مصلحته هو ؟ صاحت في وجهه مقرعة وهي في مكتبه . إن الضيعة ملك لثلاثتهم ، فقد جعل جدهم عقدها باسمائهم الثلاثة فور أن ضمهما إليه . ثم رهنها ليتمكن من أن ينفق عليهما في التعليم الجامعي .

ولقد أدت ثلاث سنوات عجاف ، ومصاعب خارج إرادة جدها ، إلى أن تصل الأمور لما وصلت إليه الآن . كل ذلك .. بالإضافة لمصاريف علاج جدها المتراكمة بعد الحادثة التي وقعت له . وفي محاولة من جدها لأن يحول دون استيلاء البنك على الضيعة أخذ يبيع أجزاء منها، ثم توقف فجأة ، قائلا إنه يفضل أن يقطع ذراعه ، على أن يبيع شيئا آخر منها وهاهما في مواجهة حاسمة مع القدر ، ولكن ، ليس لوقت طويل .

إن الأرض المقامة عليها مزرعة تربية الخيول ، يمكن أن تدر ثمنا مرتفعا ، ومايراه "كاليب" في ذلك ، هو أن هناك مقدارا طيبا من المال هو محروم منه .

أما "چاكي" من جهتها ، فكانت ترى فيها أحلاما جديرة بالتحقيق . أحلام جدها التي لن ترى النور لو استولى البنك على الضيعة .

وشعرت "چاكي" بالوحدة والضياع ، وهي في ركوعها داخل الكنيسة الهادئة. وبحث عقلها عن الكلمات دون جدوى . إن كل ما حفظته من أدعية في طفولتها ، عبارة عن جمل طويلة متشابكة الكلمات ، ليس فيها مايبدأ بالتعبير عما في القلب من أشجان ، ومافي الروح من إحساس بالضياع .

وحملقت ساكنة في البلاط الأحمر أمام المذبح. منذ ثلاثة قرون خلت، نقل هذا المذبح المصنوع من خشب الكرز ، بكل نقوشه المذهبة ، ليعبر نصف الكرة الأرضية ، آتيا من "برشلونة" ، ليستقر في هذا المكان . لقد أعلن أن وصوله سالما كان معجزة .

www.liilas.com ريما

معجزة ! إنها لاتفتا تعود لهذه الكلمة . إنها في حاجة لمعجزة !.

لايمكن أن تجلس مغلولة اليدين، وترى البنك يستولي على الضيعة. ومع ذلك، فإذا لم يحدث شيء ما ، شيء يعيد مزرعة الخيول منتجة مرة أخرى ، شيء يؤجل البنك إلى الربيع، فإن ماتخشاه واقع لامحالة.

وشعرت "جاكي" بالعجز ، وساءها ذلك . في ذلك اليوم بالذات ، أخذ آخر عامل زراعي عصاه على كتفه ورحل ، تاركا وراءه كما من الاعتذارات ، وليس لها أن تلومه . فلم يعد معها نقود تدفعها له ، ولايمكن أن تطلب من الرجل أن يعمل بدافع من الإخلاص والأمل . لقد تبقى قدر من ذلك ، قدر ضئيل وغال ، ولكن خلال ثلاثين يوما ، سيكون قد استهلك ثلاثون يوما أمامها .. ثلاثون يوما لدفع القسط الثاني ، وإلا واجهت الإفلاس فماذا بحق السماء - هي فاعلة ؟

وغمغمت من بين أسنانها ، متطلعة إلى أعلى : إذا كانت لديك معجزة صغيرة باقية ، فباستطاعتي بكل تأكيد أن استغلها .

وتنهدت ثم نهضت ، فقد آن أوان الرجوع . فحالا سيحل المساء ، وهي لاتحب أن تترك جدها وحيدا . كما أنها يجب أن تعود مبكرة ، ذلك أنه برحيل "چو" آخر عامل لديهم ، فإن العبء كله أصبح على كاهلها . أما عن جدها ، فإنه وقد أصبح مقيداً في كرسيه المتحرك منذ ثلاثة أعوام إلى الآن فإنه قد منح منصب المستشار ، ولكن استشاراته لن تطعم الجياد أو تصلح الأسوار .

وظلت واقفة في المقصورة لحظات ، تمسك بإحدى حوافها الخشبية أمامها بشدة ، كما لو كانت تريد شيئا ملموسا تتعلق به ، أو ربما تلمسا لفكرة تأتيها ، أو إلهاما يهبط عليها . شيئا ما أي شيء .

إن "جاكي" تعلم أن بإمكانها أن تستسلم وتدع البنك يأخذ الضيعة . فمستر "سوندرز" ، مدير البنك ، قد أخبرها أن المبلغ المتبقي من بيع الضيعة بالمزاد ، وحصول البنك على حقوقه سيؤول إلى جدها ، وسيكفل لهما معا بداية طيبة في أي مكان آخر وهناك العديد من الأعمال المتاحة لها تكفل لهما الحياة . ولكن الأمر لن يكون مماثلا ، لا بالنسبة لجدها ، ولا بالنسبة لها . لقد كان هذا الطريق مفتوحا أمامها حينما تخرجت ، ولكنها لم تسلكه . إنها تنتمي للضيعة ،

بالضبط مثل جدها . ولم يحدث ما يغير من الأمر . ولو كان هناك من تغيير ما ، فهو أنها ازدادت تعلقا بالضيعة . كل مافي الأمر ، هو أنها بحاجة للمعونة .

وبدأت تتحرك ببطء مبتعدة عن المقصورة . "لافائدة من البكاء على الماضي أو المستقبل" .

وتوقفت "جاكي" أمام الطاولة المخصصة للهبات ، وعليها الشموع موقدة عند مدخل الكنيسة . ودست يدها في جيب بنطلونها الجينز ، وأخرجت قطعة معدنية اسقطتها في الفتحة أسفل الشموع . وسمعتها ترن وهي تهبط بسلام لتكون مع القطع الأخرى .

وغمغمت لأية قوة علوية يمكن أن تراقبها : " آسفة ، فهذا كل مايمكنني تدبيره"

ومدت يدها إلى صندوق مملوء بالرمل وملقى به فتائل طوال نحيلات ، فأخذت واحدة وأشعلتها من إحدى الشمعات المشرفات على الانتهاء ، ثم قربت الفتيلة من شمعة أخرى ، مالبثت أن أمسكت النار بفتيلتها ، وأز ضوؤها وهي تشتعل .

وهمست "جاكي" : "أرجوك ، ساعدني" .

وحملقت إلى الضوء ، تتمنى لو ترى شيئا في لهبه ، أن يتجسد حل أمام عينيها . وأحست فجأة بحمقها ، فأعادت الفتيلة ودستها في الرمل لتخمد نارها . وبدأت الدموع تلسع عينيها ، فمسحتهما بأناملها ، واستدارت منصرفة.

وكادت تقفز حين رأته أمامها . إنها لم تسمع أحدا يدخل ليقف وراءها . ودق قلبها على الفور في صدرها وهي تتطلع إليه . كان يراقبها منذ عدة دقائق . وكان من الصعب معرفة ملامحها في مكانها داخل الكنيسة . ولكن المرأة الراكعة أمامه تصلي كانت في محنة . إن "جابرييل" متأكد من ذلك . إنه منظر كتفيها ، وصدى تنهداتها الرقيقة. والآن ، وقد رأى وجهها ، فقد بدا ذلك من عينيها العسليتين ، ومنظر فكها ودار بخلده ، لايمكن لفتاة على هذا القدر من الجمال أن تكون بهذه التعاسة .

- "آسف ، هل أفزعتك" كان صوت ذلك الطويل الغريب جاد الملامح

www.liilas.com ريما

عميقا خفيضا . "لقد اردت ان انتظر إلى ان تنتهي من صلواتك" .

وتشكلت الكلمات ببطء على شفتيها :

- "لقد انتهيت" إن لعينيه زرقة لم تر مثلها في حياتها جعلتها تتسمر في مكانها ، وساورها شعور غريب ان بإمكانهما ان تقتحما عقلها مباشرة وتقرا مافيه من افكار . وتحركت جانبا كالمنومة .

- "لم اقصد ان احول بينك وبين الشموع ، اوقد شمعتك" .

- "لم اكن انتظر الشموع ، في الواقع إنني .." ولاحت ابتسامة صغيرة في ركن شفتيه .

- "لانقود لدي لذلك . إنني كما يقال متعطل مؤقتا" . ولم يكن هناك اي اثر للخجل في كلماته ،ولا للكبرياء الدفاعية ايضا . بل كان الامر مجرد تقرير للواقع .

- " وما عملك ؟" جاء السؤال طبيعيا ، ولكنه بدا في اذنيها كما لو كان يحمل في طياته دعاء ،وانبا وجه الغريب انه لم ير الامر كذلك .

فقد هز كتفيه بلا تكلف ، واهتزت سترته القطنية من قماش الدينم المتين من حول كتفيه وبدت عضلاته التي اكتسبت من العمل الشاق . وقال :

- "بين هذا وذاك، ولكن الغالب هو الاعمال الزراعية" .

- "اعمال زراعية" ! وكررت كصدى لصوته . وهو يريد عملا ، وبصورة ملحة ! اهي المعجزة ؟ بدا السؤال كومضة في عقلها. حسنا، ولم لا ؟ لماذا لاتحدث ولو لهذه المرة فقط ؟ وشعرت "جاكي" بشيء من الدوار .

- "من اين انت ؟" .

ريما www.liilas.com

ولم تكن لتدهش لو اجاب بان صاعقة من السماء القت به تحت قدميها . فقد بدا وكانه قد تشكل من لا شيء .وإنها لتكاد تقسم انها لم تر مخلوقا بالكنيسة للحظة خلت ، ومع ذلك ، فها هو امامها .

- "من اقصى الشمال" . وانتظرت ان يزيدها إيضاحا ، ولكنه لم يفعل . بل قال : "إنني ابحث عن شخص قد يرغب في ان يعطيني عملا مقابل المأكل والماوى ، الا تعرفين بالمصادفة احدا ؟" .

وحملقت "جاكي" في ذلك الرجل ممشوق القوام ، والفرح مع البلبلة

يثوران في داخلها لم تكن تدري ان المعجزات طويلة هكذا . إن وجهه ينبئ عن ان نصيبه من قسوة الحياة اكبر من نصيبها ، ومع ذلك فإن الخطوط الدقيقة حول فمه تشير إلى انها تشكلت من الابتسام اكثر من العبوس . وعظام وجنتيه البارزة تعطيه منظرا من الوسامة وعزة النفس .

إنه بمنتهى البساطة والوضوح ، هبة من السماء .

والتفتت "جاكي" وراءها ، ناظرة إلى مدخل الكنيسة .

"لو كنت اعلم ان بركاتك تحل بهذه السرعة ، لاتيت إليك قبل ذلك" .

ولم تكن تقصد ان تتفوه بهذا بصوت عال ، ولكنها فعلت ذلك في انفعالها الذي لم تتحكم فيه . فلو كانت قد حصلت على رجل يساعدها في اعمال الضيعة ، فربما تجد بصورة ما وسيلة تواجه بها مطالبة البنك ايضا . ولكنها لن تحتفظ بهذا العامل الزراعي طويلا ، لو بدت امامه كإنسان يعاني مسا في عقله .

وعادت تلتفت للغريب الطويل ، كلها توقع لما سيعلق به على تصرفها الشاذ . ولكن لم تر على وجهه سوى ابتسامة متسامحة ، احبته لأجلها على الفور .

وبادلته باخر ابتسامة تملكها ، اشرق بها كل ركن في وجهها ، وقد امتلأت بها نفسها :

- "في الواقع ، إنني في حاجة لذلك ، وقد يكون هذا اليوم يوم فالي الحسن" . وطاف بذهنها انه بالتاكيد كذلك .

- "لقد تصادف اني ابحث عن شخص ما" .

وخرجا معا من الكنيسة وفي صحنها الخارجي خبت على الفور فكرة التدخل الإلهي في الموضوع . إن الامر لايعدو ان يكون مصادفة سعيدة

- " ونظر الغريب لها وقد بدا السرور على وجهه .

وادركت "جاكي" فجاة انها لم تحسن توضيح الامر فقالت :

- "إنني امتلك ضيعة على بعد عدة كيلو مترات من هنا" .

وهز راسه ، كما لو كان متوقعا ان تزيده القول .

- "يبدو ذلك طيبا" .

www.liilas.com ريما

ودفعتها الامانة ، لان تزيده .

- "إن الامور بها تزداد سوءاً ، وبدت الحيرة على وجهه ، ولكنه لم يستحثها على التوضيح . ولم تدر لماذا شعرت انها امام إنسان لانهاية لصبره .

- "وفي حاجة ماسة لبد متعاونة ، ولكني لااملك إلا تقديم الماكل والماوى".

- "لا أجد إلى الآن اية مشكلة ، فهذا بالضبط ما سالته".

وكان التطلع في عينيه يفقدها تسلسل افكارها ، وهزت راسهاامام نظرته الزرقاء النفاذة ، وسارت عبر ممرات الحدائق المزدهرة .

- "نعم ، وهذا ماطلبت ." ثم توقفت فجاة واستدارت له .

- "كيف انانيك ؟" واضافت في صمت : "بالإضافة لمنقذ حياتي".

- "جابرييل" ... "جابرييل" الملقب بالطيب".

- وانا "چاكلين برانيجان".

ورفع "جابرييل" إصبعين مس بهما طرف قبعته ، وبدا راعي بقر بمعنى الكلمة - سيدتي !"

- "ليست الضيعة كبيرة بالقدر الذي يجعلك تدعوني سيدتي ، يكفي "چاكي".

ومدت له يدها ، واخذها في يده ، واحست بقوة قبضته ، وشيء اخر ، ماهو ؟ لم تكن متاكدة ولكنها عادت للشعور بانه ارسل لها ، ولها وحدها ، لقد شعرت بالحرارة تسري في بدنها ، ولم يكن الجو حارا . بل كان باردا ، ولكنها لم تعد تشعر ببرودته .

- "والآن ..." وتنحنحت تصفي حنجرتها ، متمنية لو استطاعت ان تصفي ذهنها ايضا : "متى يمكننا ان نبدا"؟

وترك يدها تنسل من يده على كره منه . لقد كان ملمسها طيبا . يد رقيقة ، ولكن بها خشونة تدل على اعتياد العمل الشاق .

- "مارايك ان نبدا على الفور ؟"

ولاح بخاطرها جانب السور الذي تركه "چو" في حالة يرثى لها ، وقالت : "رائع".

وقادته عبر الممرات الملتوية إلى خارج ارض الكنيسة ، وجماعات

الحمام ترفرف غضبى وهما يمران وسطها ، لاتتوقف إلا حينما يلقي لها بعض السياح شيئا تلتقطه ، وسار "جابرييل" على بعد خطوات خلفها . وتوقعت أن يقول شيئا ، على الاقل بعض الاسئلة عن الضيعة . ولكنه بدا سعيدا لمجرد سيره خلفها .

ولم تتوقف عن التفكير ، كم هو إنسان غريب !

وعبرت البوابة الحديدية ، وتوقفت في الشارع انتظارا له ، ثم نظرت له وقد وقف بجوارها ، ويداه في جيبيه . همم ، الا تريد شيئا ، ان تخطر احدا ، او تشتري شيئا؟".

- "سارسل لاحضر حاجاتي ، فيما بعد على الرغم من انها ليست ذات قيمة تذكر ، ثم توقف قليلا كما لو كان قد يتدبر شيئا ما ." عدا حصاني".

ورغم مظهره كراعي بقر ، فقد كان امتلاكه لحصان على الرغم من عدم امتلاكه شيئا اخر قد ادهشها . وبدا كما لو كان قد خرج لتوه من داخل فيلم من افلام الغرب :

- "حصانك؟".

- "نعم ياسيدتي .. "چاكي" واشرق وجهه بالابتسام وهو يصحح لنفسه :

- لقد تركته لدي احد اصدقائي ريثما اجد عملا".

وكانت هذه هي اطول جملة استخلصتها منه . وتشجعت ، وجربت حظها اكثر.

- "الا تملك سيارة ؟"

- "كلا" وتحول الضوء للون الأخضر ، واسرعا بعبور الشارع إلى حيث تقف سيارتها الچيب العتيقة بجوار الرصيف . ولم تكن تتصور ان يجوب شخص جنوب "كاليفورنيا" دون وسيلة مواصلات فسالته :

- "كيف وصلت للإرسالية إذن ؟ . فرد مبتسما لسذاجتها :

- "اوتوستوب".

"نعم ، إنها تتصوره وهو يفعل ذلك .

- "وهل تعيش قريبا من هنا ؟".

- "ليس تماما".

- "فهمت" .

كلا لم تفهم شيئا . اهو متشرد ؟ هل التقطت في ياسها شخصا غير سوي هاربا من حكم جنائي ؟ لايعرف احد اصله وفصله ؟ واسرعت للسيارة الچيب ، تتلمس الثقة من إمساكها بمقبض بابها .

وكانما قرأ "جابرييل" افكارها ، فرفع إليها يدين سمراوين لوحتهما الشمس وخشنهما العمل الشاق ، وقال :

- "إني امر بوقت عصيب ، ولكن ، لاداعي لان تخافي مني" .

وكانت عيناه هما اللتان بعثتا الامن في نفسها ، عيناه ، ونبرات صوته ، لقد كان في نبراته شيء يبعث براحة لانهاية لها ، يغري بالثقة . وبشيء من التدريب، يمكنه استغلال هذه المواهب ليبيع احراش "فلوريدا" على انها مروج خضراء ، لو كانت اخلاقه تسمح بذلك . اما في حالتها هذه ، فليس لديها ماتخشاه فإذا كان يمر هو بوقت عصيب ، فهذا شانها ايضا . فهي وجدها يمران بوقت عصيب منذ ان كسرت ساق "سيووتر" وقد كان فقد حصان بهذه البراعة هو اكبر ضربة قد وجهت لهما .

واشارت "چاكي" للسيارة المليئة باثار الصدمات .

- ادخل فانا .. نحن" وشعرت بسعادة غامرة وهي تصحح نفسها : "نحن عائدون للضيعة" وراقبته وهو يدخل بيسر من الجانب الآخر ، وقد ملا جسده الفارع الفراغ تماما

- "إنني مقدر لك ان قبلتني" .

قالت :

- "وفر تقديرك إلى ان ترى ما ينتظرك مقابل كسب قوتك" .

وضحك برقة ، واحست بضحكته تتردد في داخلها ، شعور قريب من اشعة الشمس وهي تملأ نفسها . وجعلتها ضحكته تشعر بدفء وسعادة لم تعرف لهما سببا .

وقال :

- "عندي شعور بان الامور ستسير على مايرام" .

وساورها الشك ، اهذا وعد منه ؟! ربما قد تحقق ما كانت تبحث عنه. ولم ترد ان تتقصى ماتحمله الالفاظ من معان ، بل مجرد ان

تتعلق بها ، وبما تولده من امل فهي يمكنها ان تمضي بعيدا متعلقة بمسحة من امل ، فقد سبق ان فعلت ذلك .

ومسحت شعرها البني الداكن بيدها ، وقالت موافقة :

- "نعم ، ربما يكون الامر كذلك" .

والمضحك في الامر انها ، وبدون اي سبب على الإطلاق ، كانت تؤمن بذلك وبشعور فياض بامل طاغ تملك جسدها ، مدت چاكي يدها تدير محرك سيارتها الچيب .

ربما www.liilas.com

الفصل الثاني

لم يقل شيئا ..

لقد مرت الدقائق منذ ان نطقت باخر كلماتها ، والرجل الجالس بجوارها يبدو سعيدا للغاية بجلوسه بجوارها صامتة وهما يتجهان إلى الضيعة ، والقت إليه نظرة وهي تدور لليمين وانباتها لغة جسده انه في غاية الاسترخاء ، وإن كان يبدو متباعدا ، وكانما يجلس على صف آخر .

وكانت هي التي بدات تشعر بالضيق .

لا ، ليس الضيق بالكلمة المناسبة . المشكلة انها غير متاكدة من الشعور الذي يبثه فيها . العصبية ربما تكون انسب وصف لما تشعر به من عدم راحة ، ولكن ليس نوع العصبية التي تشعر بها في صحبة شخص لاتعرفه . بل هي تميل إلى التوقع اكثر . وادركت انها وكانها تتوقع حدوث شيء ما .

ماذا ؟ ليس لديها ادنى فكرة .

الاقرب احتمالا ان هذا بسبب حالتها الذهنية ، الجو الساكن في

الكنيسة، ثم ظهور "جابرييل" كاستجابة لدعائها . وحتى الآن ، ووسط ضجيج المرور في الاتجاهين تحت الشمس التي تميل للغروب ، لم تكن تستطيع ان تبعد عنها الشعور بان هذا كله حلم .

وإذا لم يكن كذلك ، إذا لم تكن ستسمح لنفسها بالاعتقاد بذلك ، فعليها إذن ان تواجه الحقيقة . والحقيقة هي ان الايام الثلاثين ستمر سراعا ، وسياتي البنك ، ويطبق بفكيه على الضيعة ، وان هذا ما سيكون .

وبصورة ما ، رفض عقلها ان يعتقد ان هذا ماسيحدث . ربما هي محتاجة لهذا الإنكار ليمكنها المواصلة .

رباه ، لكم هو إنسان هادئ .

وتطلعت إليه بعد ان خلفا وراءهما مباني ومحال مدينة "سان جوان كابسترينو" الواقعة على المحيط الهادئ في اقصى الجنوب الغربي لولاية "كاليفورنيا" . وبدا لها عامل ضيعتها الجديد - عامل ضيعتها الوحيد . وقد ضم يديه إلى صدره ، وامال راسه قليلا للامام ، وكانما اخذته سنة من النوم .

كانت ملابسه متهرئة قليلا ، وكعب حذائه طويل الرقبة باليا . إنه لايبدو كمغامر . ماذا كان يفعل في الكنيسة ياترى ؟ إنه لايبدو عليه التدين .

ولكن ، ماهو الشكل المفروض ان يبدو عليه الرجل المتدين يا "جاك" ؟ رجل ذو شعر طويل مرسل ، يلبس ملابس من الخيش ، مغبر من قمة الراس إلى اخمص القدم ؟ ووبخت نفسها انها كانت تنتقد "كاليب" لنزعته إلى وضع الناس في صور نمطية ، وها هي تفعل نفس الشيء .كل ما في الأمر انها مرهقة . مرهقة ، ومحبطة و ..

لقد وجدت من يعمل لك في الضيعة ، فلترضي بذلك .

وكانت تعلم ان بإمكانها ان تكتفي بترك الأمور عند ذلك الحد ، ولكن لم تتمالك نفسها من التعجب بشان "جابرييل" اي طراز من الرجال ذلك الذي هبط من لامكان مقتحما حياتها ؟ .

وكانت قبعته مائلة قليلا إلى الأمام لتحجب اشعة الشمس ، ولكن ليس بالدرجة التي تخفي ملامحه . كان فكه قويا متناسقا تماما مع

صفحات وزوايا وجهه المنحوتة بعناية رائعة . كان وجهه يحمل معاني الامانة ويوحي بالثقة ، وصاحبه بالمصادفة محتاج للعون .

"السنا جميعا كذلك" اضافت صامتة وهي تدور لتتجه جنوبا .

وبدت قبعته باهتة مع شعره الفاحم الذي يلمع وينزل في حلقات خفيفة على مؤخر عنقه . وجال بخاطرها انه من مائة عام مضت ، كان يمكن ان يؤخذ على انه مجرم متشرد . ثم نظرت لعينيه وغيرت رايها في الحال . فهاتان العينان لايمكن ان تكونا لمتشرد او مجرم . كانتا تشعان عطفا ودفئا . ولهما زرقة تصلح لتلوين يوم في صباح ربيع رائع . زرقة السماء الصافية . ولايمكن لإنسان ان ينظر في مثل هاتين العينين ويشعر بالياس او القنوط .

- "ماالذي يشغل بالك ؟" .

وجعلها صوته في انخفاضه ورقته تجفل قائلة :

- "لقد حسبتك نائما" .

- "لا"

- "واضح" .

وبحثت عن شيء يغطي حرجها اللحظي فهي لم تكن تقصد ان يضبطها تحملق إليه . ولم يكن قد التفت لها ، فكيف احس بذلك ؟ وملئت بالتعجب ، يبدو ان له عينين لاتظهران للبشر .

ولجات للكذب :

- "كنت فقط اتساءل عن مدى خبرتك باعمال الزراعة" .

واعتدل قليلا ، مزيحا قبعته للوراء بإبهامه وهو يلتفت ناحيتها .

- "القدر الكافي" .

وانتظرت منه ان يشرح ذلك القدر الكافي ، وكان انتظارها عبثا . إنها لم تصادف من قبل إنسانا بهذا الحرص على كلماته .

- "إنك قليل الكلام ، اليس كذلك ؟"

ومسحتها عيناه . وقدرها في حدود الثالثة والعشرين ، عمر يجب ان تكون فيه مندمجة في مباهج الحياة ، لاان تحمل هموم مزرعة .

- "يتعلم المرء الكثير بالإنصات" .

وفكرت : ليس بالإنصات لك .

- "وانت لاتبوح بالكثير" .

وضحك برقة ، وترددت ضحكته في اعماق احشائها ، مولدة حنينا غريبا لم يكن لديها من الوقت ان تتعجب له وقال :

- "شيء من هذا القبيل" .

وتاملته لبرهة ، ثم عادت لتركز انتباهها على الطريق . اليس لديه اي فضول ؟ وسالته :

- "الا تريد ان تعرف اي شيء ؟" .

نعم ، لديّ بعض الاسئلة ، ولكن لست في موضع يتيح لي طرحها وسالها:

- "عن ماذا ؟"

وقالت في حنق :

- "عن المزرعة ، عن عملك ، عما إذا كان رئيس العمال سيضربك ويجعلك تعمل من شروق الشمس إلى غروبها" .

- "لا رئيس عمال لديك" .

ولفت راسها له ، فترنحت السيارة .

ومد يده لعجلة القيادة ، فوقعت فوق يدها :

- "هاي ، اثبتي" .

ونظرت ليديهما المتعانقتين ، ثم له ، وسالت :

- "كيف عرفت ذلك ؟" .

وسحب يديه .

- "عرفت ماذا ؟" . إن ملمس يد الفتاة لطيف ، يختلف عن كفها التي هزها وهما يبرمان اتفاقهما . لقد مضى عليه وقت طويل لم يلمس فتاة .

- "انه لارئيس عمال لديّ ؟"

- "لايمكن أن يكون لديك ، وانت تشغلين عاملا لقاء اكله ومبيته" .

واحست بكرامتها تجرح .

- "لقد كان لدينا رئيس عمال" .

- "وماذا حدث له ؟" .

- "لقد رحل منذ ستة اشهر" .

وتململت قليلا في مقعدها ، انتظارا لأن يطلب مزيدا من المعلومات . ولكنه بدا أقوى مما ظنت ، فلم يتبع مقولتها باي تساؤل .

- "ألا تريد أن تعرف السبب ؟" .

- "فقط إذا أردت إخباري" .

وهزت راسها غير مصدقة :

- "أعترف لك بانك غير ملح" .

-"بالفعل وعاد لضم يديه ، واتكا للخلف . لم تكن السيارة مصممة لراحة من هو في طوله . ولكنه تعلم منذ وقت طويل أن يحصل على افضل مايتاح له .

وقالت تحاول أن ترى إن كانت تستطيع أن تثير أي شيء داخله :

- "أم تراك كسولاً ؟" .

وتقوس حاجباه وهو يتفحصها لبرهة ، يزن كلماته قبل أن يتفوه بها ، ثم قال أخيرا في صوت ذي نبرة حانية :

- "إنني أستمتع بوقتي ، فلن أبدأ العمل معك إلا حين نصل للمزرعة" .

وعضت شفتها السفلى لاتدري لماذا تصرفت معه بهذه الصورة .

- "آسفة لم أكن اقصد إهانتك" .

- "إنك لم تفعلي . لقد كنت فقط أوضح لك الأمور" .

- "مابفعني لأن أقول ذلك هو انني اردت أن تقول إنك تعمل بجد" .

- "وهل الآخرون متقاعسون ؟" .

- "لايوجد آخرون" .

وحبست أنفاسها منتظرة رد فعله ، ولاحظت شيئا من الاهتمام على وجهه . هاهو أخيرا ينفعل من شيء ما . وشعرت بالزهو أخيرا .

وكان الطريق طويلا كثير الانحناءات ، محفوفا بالتلال الخضراء على جانبيه، وكثيرا ما كانت تحبه لو يستمر إلى ما لانهاية ، ولكن هذه المرة لم تكن تستطيع الانتظار للوصول إلى الضيعة لتزف لجدها آخر التطورات .

- "كم تراها صغيرة تلك الضيعة ؟" .

وانفجرت ضاحكة ، تزيح عن خدها خصلات في لون الشهد .

- "ليست صغيرة للدرجة" . ثم عادت للجد قائلة :

- "لقد كانت يوما ماساحة للعرض ، سماها جدي "إل رانشو دي لوس كابالوس رويالس" أي ضيعة الخيول الملكية إنها مصدر فخره وسعادته ، وكان يربي فيها خيول الفوز في المسابقات ، وكانت ذائعة الصيت إلى عهد ليس ببعيد" .

- "والآن؟" .

راقبها وهي ترفع ذقنها لأعلى ، ورأى في هذه الإيماءة الصغيرة إصرارا لاينكر .

- "والآن لديه حفيدة مصممة على ألا تترك الضيعة تنهار" .

- "إذن فالضيعة تواجه المشاكل ؟" .

كيف سمحت بكل هذا ؟ إنها لم تقصد أن تبوح بشيء من هذا القبيل، خصوصا لمن لم تعرفه إلا بالاسم فقط. ونفخت أوداجها قائلة:

- "لا ، ليست كذلك" . واقترب صوتها من الصياح وهي تلفظ هذه الكلمات .

- "إذن فلماذا لايوجد من يعمل فيها ؟" . ولم يكن يحاول أن يضغط عليها، ولكن الأمانة لها عنده المقام الأول .

- "لأن .." وحملقت في يديها اللتين كانتا تضغطان بعنف عجلة القيادة . فخففت من قبضتها ، إذ لامعنى من الاستمرار في الإنكار ، فهو سيعرف الحقيقة إن عاجلا أو آجلا . واستطردت "لأن الضيعة تواجه المشاكل" .

قالت ذلك في ضيق ، ولكنها غير مستسلمة ، فهي ليست من النوع الانهزامي، وقد رأى ذلك في تصرفاتها ، وأحب فيها ذلك .

- "كم من أناس واجهوا المشاكل ، وتغلبوا عليها" .

المفروض الاتعني محنتها شيئا بالنسبة له ، ومن ثم فقد مست كلمة التشجيع منه وترا حساسا في قلبها ، وسمحت لابتسامة امتنان أن ترتسم على شفتيها .

- "هذا ماأقوله لجدي دائماً" .

- "وهل هو مؤمن بذلك ؟" .

- "إنه مؤمن بي" .

ولم تفتها التنهيدة التي اختلطت بالكلمات على غير قصد منها .

- "هذا عبء ثقيل" .

ورفعت ذقنها مره اخرى لجزء من بوصة .

- "وانا لها" .

ورفع لها "جابرييل" يده :

- "وانا اعطيك صوتي" .

- "شكرا ، ولكني في حاجة لذراعيك ، ورجليك ، وظهرك" .

- "وقد اهب روحي ايضا لمن يستحقها" .

وضحكت مرة اخرى ، سرورا بالمشهد . لكم عز الضحك في الأونة الأخيرة ، فالسُحُب على المكشوف ، والفواتير المتراكمة ، قضت على كل روح للفكاهة . وقالت مبتسمة :

- "ليس في نيتي ان اجعلك تعمل لهذا الحد" .

- "سوف ترين" .

وحين عاد الصمت بينهما ، لم تعد تشعر معه بالضيق . واثناء رحلتهما ، لم يكن يتكلم إلا بالقدر الضروري ، وسرت منه لذلك . وحينما كان يتكلم ، كان حديثه ياتي صوتا كريح الخريف في حفيفها ، فيه شجن ، وفيه حلاوة . وكان حديثه يثير لديها من الأسئلة أكثر من صمته . وسحرها هذا الغموض فيه . فهو وإن لم يكن يقصد إخفاء اي شيء إلا ان عباراته لم تكن تحمل الكثير في المقابل . وشعرت بشيء اخر يحتل مكانا في ذهنها ، بجوار الضيعة وجدها .

شيء طيب المذاق .

وبدا المنزل على البعد ، صغير الحجم ، ومنعزلا بصورة غريبة وسط السماء في أول الليل .. وكان جدها قبل حادثته ينوي ان يعلي من طوابقه ، ولكنه لم يفعل ذلك .

والآن لامجال لذلك . ومع ذلك ، فهو منزلها ، وهو العالم باسره بالنسبة لها .

- "حسنا . هاقد وصلنا . "إل رانشو دي لوس كابالوس رويالس" .

ومع القرب اخذت اثار الزمن والجو على المنزل تزداد وضوحا . إلى ان اوقفت "چاكي" السيارة امام الشرفة .

واخذ "جابرييل" يتفحص المنزل ذا الطابق الواحد في صمت .

- "إنه محتاج لبعض العناية" .

وجذبت يد الفرامل ، ثم القت نظرة على وجهه النحيل ، وسالته بشيء من سوء النية :

- "وهل ستتطوع لذلك ؟" .

- "إني افعل مايجب عمله" .

- "سالزمك بذلك" .

ومد رجليه الطويلتين ، وطوحهما خارج السيارة ، ولم تتمالك "چاكي" نفسها من ان تنظر إليه بإعجاب وشعرت بوخزة غريبة وهي تعيد النظر إليه . ورغم انه لم يقل ولم يفعل مايمكن ان يساء تفسيره ، فقد كان المظهر الرجولي هو الشيء الذي انطبع في ذهنها ، وتجاوب معه إحساسها ، تجاوبا لاوقت له .

وتذكرت فجاة ، انه لم يكن لديها وقت لذلك قط ، فقد تخلت عن علاقة الأخذ والعطاء بين الرجل والمراة ، لمصلحة المزرعة التي استهلك العمل فيها -باختيارها - كل وقتها .

وكان جدها قد ابدى حزنه العميق لتحملها العبء كله ، وتكلم عن بيع المزرعة ، قائلا إنها تفوتها اشياء كثيرة تعتبر من اساسيات الحياة لمن هن في مثل عمرها وقد عارضته هازئة من هذا القول بان من هن في مثل عمرها ينتظرن طويلا قبل ان يصلن إلى ماوصلت إليه هي من اهمية ، وتحمل مسؤولية ، وان لهذا اعتباره لديها . وانه حينما تقف الضيعة على قدميها مرة اخرى ، ستبدا في التفكير في امور اخرى .

ولم يعلق جدها إلا بصوت هازئ من انفه ، ولكنه لم يطرق الموضوع مرة اخرى . إنها تعلم كم ان جدها ممتن لها ، ولكنه قط لم يجد الالفاظ للتعبير عن ذلك.

والتفتت لتجد جدها يراقبها من الشرفة ، حيث كان يجلس ، رجل متين البنية مسجون في كرسي متحرك لم يتقبله بعد . كانت الريح شديدة ، ولكنه رافض ان يضع بطانية على رجليه . رافض ان يعترف باي مظهر من مظاهر الضعف ، إلا مايضطر له اضطرارا .

وكان ينظر لـ"جابرييل" ، ولكنه يوجه خطابه لـ"چاكي" .

- "لقد قلقت عليك يا "چاكي" واعتقدت انك تعقلت اخيرا وفررت مع "چو" .

وهمست لـ"جابرييل" توضح له :

- "چو" هو اخر عامل كان لدينا ، وقد رحل هذا الصباح" وبدون تفكير ، امسكت بذراعه وهي تومئ له بان يتقدم ليقابل جدها :

- "لقد ذهبت إلى الإرسالية ياجدي" .

- "اوه ، وهناك قابلته ؟ وارتفع حاجبا "مالكوم برانيجان" الرماديان ثم انخفضا وهو يرقب الرجل الطويل الملتحف بالملابس القطنية الواقف بجوار حفيدته .

- "في الواقع نعم . لقد اوقدت شمعة ، وسالت معجزة" .

ورد جدها بصوت حزين :

- "واعطوك هذا ؟" .

وتساءلت : هل سيرد الرجل على هذه السخرية من جدها ، وسيكون هذا من حقه ، ولم تكن متوقعة ان يقول جدها شيئا من هذا القبيل .

- "لاتلق بالا لجدي ، إنه يزداد فظاظة مع دخول الليل" .

- "يمكنني ان اقدم تبريراتي بنفسي يا فتاة !" .

وسالت بحنان وهي تصعد إليه :

- وماذا عن اعتذاراتك ؟" والقت بنظرة عصبية تجاه "جابرييل" فرات انه ينظر لجدها مستمتعا في سماحة ، وقد وضع قدما على الدرجة الأولى ، وانحنى للامام ، واصبحت عيونهما بذلك في مستوى واحد . وتعجبت إن كان قد قصد إلى ذلك ، ولم تستبعد هذه الفكرة .

واومات بين الرجلين :

- "مالكوم برانيجان" و"جابرييل" الملقب بالطيب" ثم ردت على نظراته المتسائلة :

- "سيعمل لدينا "جابرييل" مقابل غرفة نومه والطعام" . وكان اخر قرار بينها وبين جدها انه لم يعد لديهما مال لاستئجار عمال زراعيين .

وقال "جابرييل" مشيرا لتعليق الجد عليه :

- "لقد كان هناك عجز في المعجزات في الإرسالية . فهذا موسم كثرة

الطلبات عليها . وكنت انا من اكثر الناس طلبا لها" .

وكان قد قال هذا بوقار اقسمت معه انه كان جادا ، ولم تنتبه لما في قوله من طرافة إلا حين انفجر جدها بالضحك ملء شدقيه .

وهز "مالكوم" راسه :

- "احب الرجل المرح" ثم نظر لـ"چاكي" "سيكون ناجحا معنا ، ناجحا تماماً ومد يده ، فاخذ "جابرييل" يهزها بحرارة .

- "كم تنوي البقاء معنا ؟"

- "بالقدر الذي تحتاجونني فيه" .

ولو كان إحساسها صادقا ، فإن هناك معنى خفيا في كلماته . وسرعان ما نفضت عن ذهنها هذا الإحساس ، مدهوشة لهذا الخيال المبالغ فيه . لقد كانت مجهدة ، وجائعة ولايزال راسها يدور شيئا ما لكونها قد وجدت بالفعل من يرغب في العمل لديها مقابل ما يقترب من لاشيء ، رغم مايبدو عليه من صحة وعافية .

وقالت مؤكدة له وهي تقف بجوار جدها :

- "إنك ستكون معنا ، فلن اتحمل ان ترجع عن اتفاقك معي" .

ولم يرد سوى بابتسامة ، وكانت على استعداد لان تدفع اي شيء ، لتعلم ماذا يدور خلف هاتين العينين الزرقاوين .

وفجاة سمعت نباحاً عاليا ، فدارت بسرعة وقد اقبل الكلب الضخم مسرعا من خلف المنزل ، وعلمت على الفور انه متجه لـ"جابرييل" ، ولم يكن امامها سوى جزء من الثانية لتصيح فيه :

- "ابتعد عن طريقه ! إنه لايحب احدا من الذين ..."

وماتت الكلمات على شفتيها للكلب الأسود الشرس الذي تعود ان يكشر عن انيابه ، او على الأقل ينبح بكل عنف للغرباء . وحتى من يصبحون مالوفين له لايحرمون من نفوره الواضح . بل إن "كارلوس مونتايا" ، العامل الجديد قد تلقى منه عضة لم يستمر بعدها ليصبح عاملا قديما .

إن هذا الخليط من الشعر المنفوش والغضب الهائج قد توقف توقفا فجائيا عند قدمي "جابرييل" وساد صمت مشحون بالتوتر والحيرة والحيوان يتشمم القادم الجديد واخذت الدهشة بنفس "چاكي" والكلب

يستسلم لتربيت "جابرييل" رأسه .

وجلس "جابرييل" وترك الكلب يلعق وجهه . وسألها وهو يضحك ويربت ظهر الكلب :

- "ماذا قلت ؟" .

وانفجر الجد بالضحك وهي تغمغم قائلة في حيرة محملقة إلى الكلب :

- "إن سويتهارت " يكره الغرباء"

ما الذي حدث له بالضبط ما هي تلك القوة التي يتملكها هذا الـ"جابرييل" الملقب بالطيب؟ إنها لم تر "سويتهارت" يتصرف بهذا الشكل على الإطلاق . لقد سمي الكلب بهذا الاسم الذي يعني "حبيب القلب" ، لأن هذا الاسم نقيض طباعه بالضبط .

- "إنه يزمجر حتى لـ"كاليب" " .

فقال "مالكوم" من خلال أنفه :

- "وانا اود لو ازمجر لـ"كاليب" شخصيا" فردت بصورة آلية ، وهي لاتزال تحملق إلي الحيوان الدمث .

- "انت بالفعل كذلك" .

ومال الجد إلى "جابرييل" ، وأسر إليه :

- "إن الأولاد الذكور لاقلب لهم" فنهض "جابرييل" على قدميه قائلا:

- "يحدث هذا في بعض الأحيان" .

إنه يتكلم كما لو كان على دراية باسرار النفوس البشرية ، وعادت لتتساءل من هو ومن اين اتى ، ولماذا لم يقتطع "سويتهارت" قطعة من لحمه ، ليس لأنها أرادت ذلك - بالتاكيد - ولكن لأنه سيكون الأمر الطبيعي لو حاول ذلك . بل إن جدها قد تاقلم بسرعة لم تتوقعها ، فهو في الأصل أكثر تحفظا في تقديره الأولي للناس ، حتى ينبئ الشخص منهم عن نفسه .

ولكن ، الم تتاقلم هي نفسها معه باسرع من المعتاد ؟ .

فمن يكون هو بالضبط ؟ .

ولاحظ "جابرييل" ذلك التعبير على وجهها ، فسألها :

- "ماذا هناك ؟" .

وهزت رأسها مشيرة للكلب" .

- "لاأستطيع أن اتقبل حقيقة انه لم يحاول ان يعضك" .

- "أكنت تودين أن يفعل ؟ "

- "لا بالتاكيد ، ولكن .." ونظرت تجاه الحيوان :

- "يبدو وكانك قد نومته مغناطيسيا . إني لم اره يفعل مثل هذا إلا معنا" .

فهز كتفيه بتلقائية :

- "إن لي طريقتي مع الحيوانات" .

وقال الجد :

- "وسينفعنا هذا جدا . إن لدينا سبعة من الجياد" ثم قال بثقة انقبض لها قلب "چاكي" : "ولكن ، سيكون لدينا المزيد" .

وتحول "مالكوم" مواجها الباب ، ممسكا بالعجلات الكبيرة . فاتجه "جابرييل" إليه من الخلف :

- "اتود أن ادفع الكرسي بك ؟" .

لقد كان "مالكوم" ذا نزعة استقلالية عنيفة لايقبل اي عطف من احد ، خصوصا من الغرباء . وامسكت "چاكي" انفاسها تحسبا للألفاظ الجارحة التي ستنلو .

- "لكم ارحب بذلك يا بني" .

واسقط في يد "چاكي" .. إن اشياء غريبة تحدث حولها . ربما لاتزال في الكنيسة ، وانها قد راحت في غفوة ، وان ماتراه لايعدو ان يكون حلماً .

ودارت ببصرها بحثا عن الكلب ، فوجدته قد مضى . كان في اعقاب "جابرييل" تابعا إياه لداخل البيت .

نعم ، إن أمورا غريبة تجري هنا . أمورا في غاية الغرابة .

ووقفت وحيدة في الظلام ، ثم هزت راسها وهي تدلك ذراعيها بيديها وتبعت الجميع للداخل . فهي لن تحل شيئا بالوقوف متجمدة .

الفصل الثالث

اغلقت "جاكي" الباب وراءها ، ووجهت حديثها لـ"جابرييل" .

- "لا اظنك مخططا شيئا للعشاء" .

وخلعت معطفها والقته بلا اهتمام ، فهبط على حافة كرسي مزدوج في ركن من الغرفة وكانت غرفة رجولية للغاية ، من الخشب والجلد الداكن ، مع لمسات انثوية هنا وهناك ، وتكاملت اللمستان فكانتا كرجل وامراة متعانقين في رقصة مرحة .

وخلع "جابرييل" قبعته ، وادار حافتها في يده ، وبدا كما لو كان يتامل في السؤال .

- "لم اكن مخططا شيئا للعشاء" .

ورفعت اكمام بلوفرها ، واخذت تتفحصه . لقد كان رد فعل غريبا .

- "ايعني هذا انك غير جائع ؟"

- "لا . بل يعني انني لم اكن مخططا شيئا" .

ولم يكن "مالكوم" ممن يتحملون السكون لاكثر من دقيقتين ، فاخذ زمام الحديث في نفاد صبر :

- "هاي ، لايزال لدينا من الطعام مايملا بطنا آخر جائعا" . وخبط بيده على بطن "جابرييل" القوي .

وكان دلالة ذلك في دستور "جاكي" هو القبول الكامل من جدها .

- "إنك طويل القامة ، ولكن نظرة لك تدل على انك غير نهم . صاحبنا يابني" .

ووجدته "جاكي" امرا مسليا ان ينادي "مالكوم" "جابرييل" بكلمة "بني" . فلم يكن هناك احد ابعد من ان يثير فكرة الابن ، كمثل ذلك الاجير الجديد . إنه يبدو وكانه ولد حاملا مسؤولياته فوق كتفيه . كان يقف على قدميه بطريقة توحي بالعزة ، دون غرور ، مرتاحا لمن هو ، وماهو عليه .

وتمنت لو تعلم بالضبط "من" هو . فسلوك كل من "سويتهارت" وجدها خارج عن المالوف ، مما اثار فضولها اكثر . فـ"مالكوم برانيجان" ، على ما يملا قلبه من طيبة ،لا يتسرع في حكمه على احد حتى يجد الوقت ليهضم تصرفاته ، ولم تره قد اخذ احدا من قبل كما فعل مع "جابرييل" ، ربما يكون اثر الإرهاق والوحدة قد خففا من غلوائه .

ومع ذلك ، فمهما كانت شخصية "جابرييل" ، فإنه محتاج لان يطعم . وسرتها فكرة ان تطهو لشخص جديد ، ولم تكترث ان تبحث عن السبب .

- "لدي طعام في الفرن . اتحب الدجاج المحمر ؟" .

- "كنت دائما" . وغمزت لجدها وهي تمر بينهما إلى المطبخ وقالت :

- "إنه قليل الكلام" .

ونادى جدها :

- "ليس من خطا في هذا" ، ثم التفت لـ"جابرييل" : "إنها فتاة طيبة ، وإن كانت عنيدة كجدتها" . ونادت من المطبخ :

- "لقد سمعت ذلك" .

ومال "مالكوم" عليه وهمس :

- "انا ذنان كبيرتان ايضا" وابتسم "جابرييل" ابتسامة عريضة ، مسرورا من الرجل العجوز .

- "لم الاحظ ذلك" .

قال وهو يدور بعينيه :

- "سوف تفعل ، سوف تفعل حسنا" واعتدل في كرسيه "هل انت من المنطقة، ام مجرد عابر سبيل" . واشار له بيد لوحتها الشمس فاكسبتها لونا برونزيا إلى اريكة بنية داكنة ، وقال :

"اجلس" .

وجلس "جابرييل" ، واضعا ساقا على الأخرى ، وكاحل إحدى قدميه فوق ركبته الاخرى وكان حذاؤه باليا ، ولكن يبدو جيد الصناعة تحت ماعلاه من تراب. ثم وضع قبعته بجواره وقال :

- "كنت في زيارة لبعض الأصدقاء ، وقررت البقاء لفترة" .

ورغم إنه لم يدر برأسه ليرى في المكان شيئا يذكر ، إلا انه الم بكل مافي الغرفة ، وعن الرجل الجالس امامه . ورأى أن "مالكوم" ليس بالرجل الذي يقتنع بسهولة، ولعلها تكون قد اكتسبت ذلك منه .

- "واصدقاؤك هؤلاء ، اصحاب مزارع؟"

- "لا"

واثناء انهماكها في إعداد المائدة ، نظرت عبر الممر مقوس السقف الذي يفصل بين الغرفتين :

- "إنه لايستجيب كثيرا للأسئلة يا جدي" .

ونهض "مالكوم" قليلا وهو يستدير في اتجاه "چاكي" :

- "إنني اتكلم مع "جابرييل" ، فانتبهي انت لدجاجك المحمر" .

- "حاضر ياجدي" .

وهز العجوز راسه قائلا :

- "هذا افضل" ولكن عينيه اخبرتاه بان "جابرييل" لم يخدع بهذا الإذعان السهل منها ، فقد تولد لدى "جابرييل" إحساس بانها قادرة على أن تصمد في اية مواجهة مع جدها ، وان العجوز يعرف ذلك .

وعاد "مالكوم" إلى جلسته مرة اخرى " .

- "حسنا ، اعتقد اننا محظوظون لانهم ليسوا اصحاب مزارع . فامامنا عمل كثير هنا" ، وتطلع إلى ساقيه وقال متحسرا :

- "لقد كنت اعمل من شروق الشمس إلى مابعد الغروب ، ولكن هذه

الأيام قد ولت" .

وكانت عيناه مليئتين بالغضب لماحل به من ظلم .

وتعاطف "جابرييل" مع الرجل العجوز ، عالما مدى شعور المرء حين يفقد القدرة على التحكم في حركاته ، وقال بعطف :

- "إن الامور تتغير" .

وتنحنح "مالكوم" واعتدل في جلسته :

- "نعم هي كذلك . بالتاكيد كذلك" ، ثم مط رقبته وهو يستدير برأسه: "الم يجهز العشاء بعد يا "چاكي" ؟" .

ووضعت "چاكي" إناءً صغيرا به الديك المحمر المحاط بقطع البطاطس الصغيرة في وسط المائدة ثم دخلت عليهما الغرفة عبر الممر المصنوع من الطوب اللبن ، وقالت تقذف بالكلمات من فمها :

- "لقد انقذته في اخر لحظة. عشر دقائق اخرى ، وكنا سناكل فحما. الم اطلب منك أن تراقبه بدلا مني؟"

وقبض "مالكوم" على لحيته ، وقال متفاديا عينيها :

- "لقد فعلت" وكان في مكانه طوال الوقت .

- "إنك عديم النفع" . واخذت تدفعه إلى المطبخ وقال لها :

- "غير صحيح بالمرة" .

وكان بالمطبخ مدفاة كانت تفضل استخدامها في الطهي عما لديها من وسائل اخرى ، إذ إنها تعطي الطعام نكهة افضل ، على الاقل بالنسبة لها . ودفعت بجدها إلى المكان الذي لايوجد به كرسي .

ياللدفء ! فكر "جابرييل" في دفء المكان وهو يتخذ مجلسه لدى المائدة الصغيرة . وطافت بخياله ذكريات من الماضي . ذكريات نوت من ذاكرته ، ولكنها لم تمت كلية .

ورأى "جابرييل" انه مهما طال به المقام ، فإنه سيحب هذا المكان .

قالت "چاكي" لـ"جابرييل" :

- "هيا ، لعلك تريد أن ترى مكان إقامتك" .

كانت الأواني مكدسة في الحوض . وكان طبعها انها تنتهي منها على الفور ، فاعمال البيت تتراكم لديها عادة . وكان من الممكن أن تشير لـ"جابرييل" إلى اتجاه المنزل الملحق ، ولكنها لم ترد ان تفقد فرصة

اختلاس بعض الدقائق للاختلاء به . وعللت لنفسها ذلك بالرغبة في ان تعرفه اكثر ، ولكن سرعان مااعترفت لنفسها بالحقيقة فهي غير معتادة على الكذب ، حتى على نفسها . إنها تريد ان تفهم سر ذلك الانجذاب الغريب تجاه "جابرييل" . فهو قد سحر كلبها وجدها في غضون دقائق ، بحديثه الهادئ العذب ، بل فور ظهوره في الواقع . وقد اثار هذا افتتانها بل وقد فتنها اكثر ، ان هذا الانجذاب منها له على مستوى نادراً ما شعرت به من قبل .

- "إذا لم يكن هذا سيضطرك للخروج " واخبرتها ابتسامته انه يرحب بصحبتها .

- "يضطرها للخروج معه .. هه" ! ، واستخرج "مالكوم" غليونه ليدخن شيئا للمساء .

- "إنها تتمنى لو ظلت بالخارج أطول مايمكنها ، ساهتم انا بالأطباق" .

ونظرت "جاكي" للغليون بحدة ، فهي لاتحب منه التدخين إذ تشعر بالعداء ضد اي شيء يمكن أن يحرمها من يوم واحد من عمره. وقالت:

- "لقد راودتني فكرة انك لن تدخن" .

- "حسنا ، امحيها على الفور من ذهنك" .

واشعل عود ثقاب قربه من غليونه إلى ان اطمان انه ادى مهمته ، ومالبث عمود من الدخان أن تصاعد من بين شفتيه ، اولاه "مالكوم" كل انتباهه .

وهزت "جاكي" راسها ، إن هذا الرجل لايمكن إصلاحه - وهي تحبه من كل قلبها . وسارت امام "جابرييل" عبر المطبخ فغرفة المعيشة إلى الباب الخارجي.

- "ياله من شخصية"!

ومد "جابرييل" يده ليحيط بخصر "جاكي" ويقدمها عليه في الخروج.

- "إنني معجب به" .

ووقع هواء الليل باردا على صفحة خديها . وقالت :

- "إنني سعيدة بذلك" . ولم تكن تدري لماذا يسعدها أن يعجب هذا الغريب بجدها . ولكن هذا ماكان منها .

- "إنه لايميل للغرباء عادة بمثل هذه الصورة" .

وهز راسه مبتسما :

- "مثل كلبك ؟"

وضحكت :

- "ليس تماما ، فجدي لايعض الناس ، وإن كان يميل لأن يفعل ذلك بـ"كاليب" . واشارت للمبنى :

- "حسنا ، ليس بالشيء الكثير حقيقة ، ولكن العمال كانوا يسمونه منزلا .. حينما كانوا هنا " . ودفعت الباب الذي زمجر بصوت عال محتجا على هذا الاقتحام ، وتحسست بيديها بحثا عن مفتاح الإضاءة وضغطته . وبدت الغرفة الطويلة مهجورة في الضوء الخافت .

- "إن هذا المكان ملك لك الآن" .

وجال "جابرييل" في المكان . كانت الغرفة تحتوي على صفين متقابلين من الأسرة وكرسي ومنضدة عند كل نهاية . وكان المنظر العام يبين أن المكان قصد به أن يضم عددا من الرجال ، واصبح الآن مثالاً للخواء . ولم يكن هناك صوت سوى وقع اقدام "جابرييل" لبرهة من الوقت ، وهي تدب على الأرضية الخشبية.

واستدار ليواجهها مرة اخرى ، وبدا أن المكان قد راق له بقدر كبير.

- "أين هذا من امكنة مليئة بالغرف ، ولكن تفتقر للرحابة ؟ إن المكان طيب للغاية " .

وعبرت إليه . كان اطول منها ، ومع ذلك فلم تشعر بتهديد من هذا الطول منه، بل على النقيض ، فلقد بدا كانه حماية وامن لكل من يقترب منه .

واستبدت بها الحيرة لقوله ذاك ، فسالته :

- "من أين انت بالضبط" ؟ .

- "من اقصى الشمال" .

هذا ماقاله من قبل . إن استخراج معلومة منه اشبه بخلع الضرس. وأعجبها ان تتحداه ، فسالت :

- "وكم يبعد ذلك الشمال" ؟ .

- "إنه قصي للغاية" .

لقد كان أمهر منها في هذه اللعبة . واعجبها ذلك منه .

- "هل هناك شيء لم تخبرني به يا جابرييل" ؟

واشاح ببصره ، كما لو كان انتباهه قد تحول لاختيار احد الأسرة:

- "اشياء كثيرة ، ولكن ستاتي بالتدريج اثناء الكلام ، ولو بقيت لمدة كافية لو!

علقت هذه الكلمة مضاءة امام عينيها ، تزداد حجما وعمقا . لو . إنها توحي بعدم الاستمرار . ولكن ، لاشيء يدوم على حاله حتى ولو بدا كذلك . إنها تعلم ذلك . لقد تصورت يوما ما أن هذه الضيعة ستظل لهم للابد . وهاقد تغيرت الأحوال ، وغرق جدها في الديون بعد ماكان فيه من يسار .

ولم تكن تدري مايخبئه المستقبل . ولكن هاهو "جابرييل" الذي بدا وكانه قد تخلق من الاثير ، وهي شاكرة أن يقبل أن يبقى وان يعمل لقاء سقف يظله وثلاث وجبات في اليوم ، فواقع الأمر انها لم تكن لتقوى وحدها على عبء المزرعة .

وانتبهت لكونه يتفحصها ربما ليسال نفسه إن كان سيقرر البقاء مع هذا الفضول منها . فقالت :

- "إنني لاأقصد أن أدس انفي - مادمت لم تقتل أحدا .. "

ولاحظت باسى انها تتلعثم في حديثها .

ورد برقة :

- "لا .. لم افعل" .

- "إذن فهذا كل مايهمني ، بالإضافة إلى مقدار جهدك في العمل ، وقد يواتي الحظ .." وهمست في سرها ، "بل المعجزة .. واستطيع أن ادفع لك مرتبا" .

عليها أن تنسحب سريعا قبل أن تتفوه بما يدفع الرجل للفرار عن غير قصد منها ولاحظ "جابرييل" ماهي عليه من عدم ارتياح ، فقال :

- "سنرى غدا إن كان عملي يروق لك" . وامسك الباب ليسمح لها بالخروج . فخطت للشرفة وقالت :

- "الفطور في السادسة صباحاً ؟" .

- "فطائر؟" .

وابتسمت لهذا الطلب المتواضع :

- "كل ماتريد" .

- "ساكون موجودا" .

وظلت تبتسم له وهي ماضية في طريقها نازلة سلم الشرفة . ويبدو أن المشي والابتسام لايتفقان احدهما مع الآخر! ، إذ حشر كعب حذائها في احد الألواح وبينما استمرت هي في السير ، لم يسايرها ذلك الكعب ، وكادت تهوي من على السلم لو لم تلحقها يد "جابرييل" لتمسك بها وتشدها إليه لتصطدم به . وتطاير الشرر حول جسدها باكمله وهي تنظر إليه ، وكانت شهقتها وهي ساقطة قد ملات رئتيها ، فحاولت أن تخرجها ببطء إلا انها انفلتت عاصفة من فمها . لقد كانت واعية حقيقة بتلامس جسديهما .

وكانت عيناها على فمه ، وذهنها في مشاعره نحوها ، وغمغمت :

- "شكرا لك" .

فرد عليها مبتسما :

- "لاداعي للشكر ، فلو كسرت ساقك لما استطعت أن تصنعي لي الفطائر غدا" .

- "يا لحسن حظي إنك تحب الفطائر" .

وكانت يداه تمسكان جيدا بخصرها يدان كبيرتين ، وتغطيان خصرها بالكامل، وشعرت للحظة انهما تغطيان جسدها كله حتى ولو لم يحركهما . وأخيرا فعل ، ولكن ليدعها.

لماذا لم يقبلها ؟ كان استغرابها مصحوبا بانفجار داخلي ودهشت لشدته وكانت تدرك انها لم تبد شيئا يمكن أن يفسره نفورا منها له .

كان الغسق قد حل حين كانوا بالداخل يتناولون الطعام . اما الآن ، فقد ظهرت النجوم في السماء ورفعت نظرها إليها وهي تنزل السلم ، على حذر هذه المرة .لقد مر وقت طويل منذ أن راتها بهذه الكثرة ، أو ربما مر وقت طويل بدون أن تلقي بالا لهذه المتعة الصغيرة .

وقال "جابرييل" ، كانه يقرا افكارها :

- "إنها امسية جميلة" .

- " لا اذكر انني رايت النجوم بهذا الصفاء من قبل . واحيانا لا

تظهر على الإطلاق " . ونزل إليها :

- " إنها موجودة دائما لإرشادنا ، ولكن يحدث الا تريها " .

واحست بقربه اكثر مما سمعت كلماته . واحست لحظة انهما كموجتين متناغمتين .

- " إنك تتحدث كما لو كنت بحاراً " .

- " إن النجوم مخلوقة لكل إنسان ، وليس للبحارة فقط . فكل إنسان معرض لان يضل طريقه عند نقطة او اخرى " .

واستدارت لتنظر إليه ، ما هذا القول الغريب الذي يقوله ؟ اهو حديث عابر ام انه يشعر بطريقة ما انها ضلت طريقها ؟ لان هذا هو واقعها . ففي تلك الأيام تقف حائرة اي الطرق تسلك ؟ وماذا يجب ان تفعل ؟ ولهذا ذهبت للكنيسة .

- "وهل يجدها كل إنسان ؟" .

- "نعم ، إذا نظر جيداً" .

وكانت عيناه تبدوان داكنتين في الظلام . ولكن لاتزالان دافئتين ، تبعثان على الراحة واحست برغبة قوية في ان تشب على اطراف اصابعها ، وتقبض على ياقة معطفه القطني السميك وتقبله ، وقد بدات تستمتع بفكرة ابتعادها عن دنيا الواقع بمعدل سريع .

- "نصف عامل زراعي ، ونصف فيلسوف .يالها من صفقة رابحة مقابل ثلاث وجبات في اليوم" .

وابتعد عنها ، صاعدا السلم بدون ان ينظر للدرجات ، ومع ذلك فقد نجح في تفادي الدرجة المكسورة .

- "سيكون لك الحكم على ذلك " .

- "نعم سيكون ذلك . عمت مساء يا"جابرييل" . واستدارت منصرفة وتبعها صوته :

- "عمت مساء" .

ودست "جاكي" يديها في معطفها واتجهت للبيت الرئيسي ، وكانت تعلم انه يراقبها . وجعلها ذلك تمتلئ دفئا ، وحيوية .

واستقبلتها حرارة البيت تلهب وجنتيها ، فزادتهما توردا . وحمدت الله على ان هذا سيضلل عيني جدها المتفرستين . وصفق الباب

وهويغلق وراءها ، ومع ذلك فلم تكد تسمعه .

- "هل ضللت طريقك وانت عائدة ؟" .

واستغرقت عدة دقائق لتستعيد افكارها التي كانت قد راحت بعيدا لمئات الأميال . وشعرت بنفسها في حالة طيبة .

وكان جهاز التليفزيون يعمل ، إذ يحب جدها ان يظل امامه إلى الحادية عشرة لانه يعتبر ان من واجبه ان يعلق ناقداً على اخبار المساء .

وخلعت "جاكي" معطفها والقت به على الأريكة .

- "لقد تحدثنا قليلاً" .

وبدلا من ان يتذمر إذ تركته وحيدا هذه المدة، هز الجد راسه موافقا. وقالت "جاكي" لنفسها ، "ربما يكون هذا وقت حدوث المعجزات ، على الاقل الصغيرة منها".

- "ولد طيب . تعالي رافقيني ، إنهم يعرضون فيلمي المفضل" ، واشار إلى جهاز التليفزيون "إنها حياة بديعة" .

وفكرت "جاكي" في دفتر حساباتها في حجرة المكتب . إن الشهر في نهايته ، ويجب ان تراجع حساباتها . ولكن الدفتر لن يتحرك من مكانه وبصورة ما احست انها غير مستعدة لان تفسد مزاجها بمافيه من ارقام مقبضة .

وجلست على الأريكة مبتسمة :

- "اهذه ملاحظة منك" ؟ .

- "لا ، بل اسم الفيلم . الا تعرفين شيئا يا بنت؟" .

- "فقط ماتعلمني إياه يا جدي " . ومالت وهزت لحيته في حنان وحب .

- "إذن فاستمعي إلي ،فقد يحدث ان اتذمر مرة من المرات" .

- "مرة من المرات؟" .

واستطرد كما لو كانت لم تقل شيئا :

- "إنها بالفعل حياة بديعة . الصبر فقط يا "جاك" .. إن الأمور تتغير لو بذلت الجهد الكافي" .

وفردت أصابعها على ركبتيها ورجعت بظهرها :

- "لقد قال هو ذلك ايضا".

- "هو؟".

- "جابرييل".

وهز رأسه متفقا مع الرجل غير الموجود.

- "لقد عرفت أنه ولد ذكي لحظة أن وقعت عيناي عليه"، واقترب من حفيدته وفي يده إناء مليء بالبطاطس المحمرة "لقد وجدت بعضا من البطاطس أتريدين شيئا منها؟"

- "أتستطيع أن تاكل شيئا بعد ذلك العشاء؟".

- "نعم، يمكنني أن أكل دائما". ولإثبات ذلك، ألقى بحفنة في فمه وراح يمضغها ثم أشار بيده للشاشة: "والآن، شاهدي الفيلم، فقد يسري عنك".

إنها لم تكن على شاكلته. لم يكن بإمكانها أن تجعل خيالها يسرح مع خيالات "هوليوود" فلن يجعلها ذلك تنسى الذئب - أو صاحب البنك - الواقف لدى الباب.

- "الشيء الوحيد الذي يسري عني أن يكون البنك قد فقد وثيقة القسط الثاني من الدين. أو يكون مستر "سوندرز" قد أجرى عملية نقل قلب وتعلم الرحمة".

وعادت تفكر أن عليها أن تعود لدفتر حساباتها. كما أن الأطباق في الانتظار. ثم نظرت إلى وجه جدها، وظلت صامتة برهة. إن أقل ماتفعله من أجله هو أن تشاركه هذه المتعة الصغيرة له.

ومررت يدها على وسادة وشتها جدتها ذات يوم، وقد بهتت ألوانها.

- "جدو".

- "ولم يبعد نظره عن الشاشة رغم أنه رأى الفيلم مرات لاتحصى

- "نعم".

- "إني آسفة".

- "على ماذا؟".

- "على أني خذلتك".

وحول "مالكوم" نظره عن الشاشة، ونظر إليها دهشاً:

- "ماهذا الهراء الذي تقولينه؟ إنك لم تخذليني يا "جاك". إنك مناضلة. إن لديك من الشجاعة في يديك الصغيرتين أضعاف مالدى أخيك عديم الفائدة".

وفكرت في منزل أخيها القائم في حي راق في مدينة "نيوبورت":

- "إن أخي له من القيمة أضعاف ما أساوي".

- "ليس في حساباتي".

ولكنها لم تقنع:

- "ربما لو قبلت اقتراح "فرانك" - أقصد أنه سوف يمنحنا المال عندئذ، و..."

وجعلت نظرته الكلمات تموت على شفتيها:

- "هل تحبينه؟".

ونظرت ليديها:

- "لا بالتاكيد، ولكن..."

- "ولكن ستفعلين ذلك من أجل الضيعة، وأجلي"؟.

ورفعت رأسها:

- "نعم".

وبدلا من أن يكون شاكرا لها، جعلته كلماتها يثور غاضبا:

- "ماذا تحسبينني بالضبط يابنت؟".

- "ماذا؟".

- "أتظنين أني أبيع حفيدتي من أجل الضيعة؟ إنك لحمي ودمي. إنني أحب هذا المكان العتيق، ولكن ليس مثلك" ومد يده ليربت يدها.. وسرى الدفء بينهما إلى أن تراجع في جلسته.

- "آه لو يمكنني أن أبيع "كاليب"".

وابتسمت لأن الغضب قد ذهب عنه:

- "لن تجني من ورائه الكثير".

- "بل لن أجني شيئا البتة، لو كان لدى العالم شيء من الإدراك". وأشار بإصبعه للجهاز: "أعتقد أنك محتاجة لمشاهدة الفيلم أكثر مني فالممثل "جيمس ستيوارت" يظن نفسه لايساوي شيئا أيضا إلى أن تظهر له واحدة من الملائكيات ذات مظهر حسن فتبين له كيف تكون

الحياة بدونها فارغة"

ومالت "چاكي" مسندة راسها على راحتيها :

- "والآن ، فإن ماأريده هو ملاك" .

- "وقذف "مالكوم" بحفنة اخرى في فمه قبل ان يعلق :

- "أعتقد انك قد حصلت على واحد بالفعل" .

- "من الذي تتحدث عنه ؟" .

واشار بيده لمنزل الملحق :

- "جابرييل" اسم مناسب لملاك" .

وضحكت للفكرة :

- "إنه ليس بملاك" واضافت صامتة ، لايمكن لملاك ان يجعلني أشعر بما انا شاعرة به الآن" .

ونظر إليها "مالكوم" مليا وقد اختفت الابتسامة من وجهه :

- "لقد وجدته في الكنيسة ، اليس كذلك ؟" .

ولم تستطع ان تتبين إن كان يسخر منها أم لا .

- "جدي" .

وغمغم الجد شيئا لنفسه وشيئا لها :

- "هذا هو عيب الجيل الجديد ، لم يعد الإيمان يدخل قلبه" .

واستدارت إليه واحتضنته :

- "إنني فقط اتمنى لو كان كذلك يا جدي . اتمنى فقط لو كان كذلك" .

وقال وهو يخلص نفسه من ذراعيها :

- "توقفي عن خنقي واجلسي لمشاهدة الفيلم ، فقد تتعلمين شيئا" .

ولم تخدعها نبرة صوته . فابتسمت له قائلة :

- "نعم ياجدي" .

واتخذت مجلسها على الأريكة .

الفصل الرابع

لم يكن من عادة "چاكي" استخدام منبه للاستيقاظ ، فلديها منبه داخلي يوقظها كل صباح لم يفشل يوما في ذلك - في الرابعة والنصف صباحا . وحتى في طفولتها ، وعلى النقيض من توءمها ، كانت تستيقظ مبكرة . وكان لهذا فوائد جمة ، لكونها من سكان المزارع ، حيث يبدا العمل قبل ان يعرف ضوء الشمس طريقا إليها ، وحيث يعتبر الوقت ضيقا عن كل شيء ، وكل شيء هنا قد اخذ يتضاءل امام عينيها بسرعة رهيبة في الاشهر الماضية .

وجلست "چاكي" في السرير ، ومطت جسدها . وسببت هذه الحركة المفاجئة منها زمجرة شاكية من كتلة الفراء الضخمة الراقدة بجوارها . وضحكت وهي تمد يدها لتحك له ماتحت اذنه .فتحولت الزمجرة إلى نبرة سرور خافتة .

- "هيا يا "سويتهارت" ، لقد حصلنا على قسط لذيذ من النوم ، وحان الوقت لتدب الحياة في هذه المزرعة" . وتنهدت وهي تطوح بقدميها ، لتضعهما على السجادة ذات اللون الرمادي الفاتح .

- "او رمق من الحياة بالاحرى" .

ونبح الكلب إما تعبيرا عن الرضا او عن الرفض .ولكنه كان عند قدميها قبل ان تهب واقفة .

- "هذه روح عالية منك يا"سويتهارت" .

ومطت جسدها مرة اخيرة ، واطلقت تثاؤبا ، شاعرة بنوع من الصداع الغامض ناحية صدغها الايمن . وتجاهلته مؤملة الا يكون ماتعتقد .

- "اتمنى ان يكون العامل الجديد في مثل نشاطك يا".سويتهارت" "

العامل الجديد، وابتسمت للكلمة . عصر الامس كان العالم قد طلي بلون اسود قاتم. وكان الرجاء مقطوعا كلية، اينما وجهت وجهها، كان الوقت ينفد بسرعة، وكل العمال قد هجروا المزرعة. والآن تحول اللون الاسود إلى الرمادي، ولعل ذلك يكون إيذانا بالوان اخرى تلوح في الافق، بالضبط كما يحدث عند بزوغ الفجر. لعل هذه تكون نقطة التحول من الضيق إلى الفرج يعلم الله كم من الديون واجبة الوفاء امامها .

واعلنت "چاكي" الكلب الذي كان يتشمم قدميها :

- " علي ذكر الواجب ، إن اول واجب لي هو في المطبخ الآن ."

والقت نظرة على قميص نومها الحريري ، وكان ملمس الحرير على جسدها هو الرفاهية الوحيدة التي تسمح لنفسها بها ، لتخفف إلى حد ما من خشونة اعمالها اليومية .

- " ولكن لن أظهر في المطبخ بهذا المنظر ، وإلا اعتقد ان اتفاقنا يشمل ما هو خلاف الفطائر للفطور ."

ورد عليها الكلب نابحا .

وانطلقت للحمام لدقيقتين تحت الدش، وكان الصداع قد ازداد قليلا، ولم تنس ان تلتقط "روبها" وهي خارجة من الحمام .

وفي الخامسة ، كانت في المطبخ ، وشعرها لا يزال مبللا ، وما بها من الم غامض يتزايد ، محصوراً في صداع نصفي ، وبدات تعد الفطور متعمدة ان تبطئ حركاتها ما امكن .

واتجه "مالكوم" بكرسيه إلى الممر، مسرورا لحظة لرؤيتها وهي

تتحرك في المطبخ . إذ اثار ذلك ذكريات محببة لديه ، وكانت المائدة خلفها معدة ، وصوت فوران الماء المعد للقهوة يتردد في المطبخ ، مصحوبا بحسيس آت من صينية الفطائر. وكانت ترتدي مريلة جدتها والتي كانت كبيرة على جسمها. فوق البنطلون الجينز وبلوزة العمل ، وتذكر انه منذ اربعين عاما ، كانت "إيلين" على نفس تلك الصورة تماما .

وحرك كرسيه ليصير إلي يسارها :

- "ما هذا الذي اشمه ؟"

ونظرت إليه برهة قبل ان تستدير للصينية قائلة :

- "فطائر . كان يجب ان اتوقع ان رائحة الطعام ستاتي بك " شعرت بالم مفاجئ حاد في عينها لم يلبث ان زال ، وبدات تقلب ثلاثا من الفطائر الكبيرة بعناية ، ثم نظرت مبتسمة لسطحها البني الضارب للصفرة نظرة ملؤها الرضا.

ورفع "مالكوم" احد حاجبيه، ملاحظا ابتسامة الرضا على وجهها، وسال :

- "اهذا لي ؟"

- "ضمن آخرين ." وخفضت نار الموقد ، وعدت في صمت إلى عشرة ، ثم اطفاته ، ورفعت الفطائر واحدة تلو واحدة .

وراقبها "مالكولم" وهي تضع مزيدا من خليط عجينة الفطائر في الصينية، فمسح بيديه على لحيته وقال :

- "افهم من هذا انه لا يزال معنا ؟"

- " من الافضل ان يكون كذلك ."

وبدات تقلب الفطائر الجديدة ، وصداعها يزداد مع كل حركة ، اوه ، لا ! ليس اليوم إن لديها كثيراً من العمل في ذلك اليوم .

ودفع "مالكولم" بكرسيه إلى الخلف حتى واجه المائدة .واخذ يراقب حفيدته وهي تضع الاطباق عليها ، ثم تناول من الفطائر وهو يقول :

- " يخيل إليّ انك بدات تشعرين بميل تجاهه ."

ووضعت "چاكي" يديها على ردفها وهي ترفع حاجبيها . إنه يوقع بها . او ربما يامل في هذا .

www.liilas.com

فقد كان الحديث بينهما في الآونة الأخيرة يتجه اكثر واكثر نحو رغبته في رؤية الجيل الثاني من احفاده قبل ان يموت ، وقالت :

- "اترك له بعض الفطائر .."

- "اها !"

وهبطت بوجهها إلى مستوى وجهه ، ورغم ان ذلك كان يؤلمها :

- " ليس اها ! لقد وعدته ان اصنع له فطائر للفطور ، واحب ان افي بوعدي" ثم رفعت يدها لتمنع مزيدا من المناقشة :

- " وبالنسبة لملاحظتك الاخيرة ، فإنني كنت ساشعر بالولع تجاه احدب "نوتردام" ، لو قبل ان يعمل لدينا مقابل طعامه وسقف يظله ."

ورد "مالكوم" متخابثا:

- " ولكنه ليس مؤذيا للعين لهذه الدرجة ، اليس كذلك ؟"

سكب شيئا من السائل المسكر على فطيرته .

قالت :

- "لا .. إنه ليس كذلك." ثم استدارت لتجد "جابرييل" واقفا لدى الباب فاحست بالدم يتدفق إلى وجنتيها، يا إلهي ترى ما مقدار ما قد سمع؟ واستدار "مالكوم" له، متظاهرا بانه لم يكن في الحوار شيء يدفع بحفيدته إلى الحرج، واخذ يرقب "جابرييل" مدة طويلة، ثم اخذ ثغره يفتر عن ابتسامة رضا عريضة. إن انطباعه الأول لم يكذبه ، إن الفتى سيكون ذا نفع عظيم ، ربما باكثر من طريقة .

واشار إليه بالشوكة :

- " خذ لك كرسيا يا بني ، لقد كنا توا نتحدث عنك "

وتمنت "جاكي" لو كان جدها قد جهز المطبخ بباب تحت قدميها مباشرة ، حتى تتمكن من الهرب من موقف كهذا ، وبدا الصداع يصل إلى مستوى يهدد بالا يمكنها تحمله واوما "جابرييل" لـ"جاكي" قبل ان يتخذ مجلسه امام "مالكوم":

- " لقد فهمت ذلك ، لقد قرعت الباب ، ولكن احدا لم يسمعني "

واغمضت "جاكي" عينيها، تتمنى زوال صداعها ، وشعورها بالحرج، ولكن ايا منهما لم يستجب لرغبتها ، ثم نظرت إلى الكلب نظرة اتهام ، فقد كان من عادته ان ينبح بشدة ضد اي قادم ، حتى من يعرفهم ،

وانبته غاضبة :

- " اي نوع من كلاب الحراسة انت ؟"

واشار إليها الجد بقدحه :

- " ليس المفروض انه يحرسنا ضد عامل لدينا يا "جاك" وكان القدح مملوءا لحافته ، وعمود من الدخان يتصاعد منه قبل ان يدنيه من فمه.

- " ولكنه كان يفعل هذا دائما من قبل "وقربت إناء القهوة البادي قدمه إلى "جابرييل" سائلة :

- قهوة ؟"

ومد لها القدح بسرعة قائلا :

- " لو سمحت ؟"وبدات تملؤه له ، وبدا هو في الابتسام لها ، ببطء وثقة .

وملأت ابتسامته كل فراغ داخلها ، كما تشرق الشمس على ارض معتمة في ساعات الصباح الأولى واخذت تصب السائل محملقة ولولا ان تداركت نفسها في الوقت المناسب لفاضت القهوة من القدح. وكان الصداع قد شمل الصدغين وبدا يتصاعد إلى راسها وفكرت في اسى على انه سيكون يوما غير ميمون لها .

ونظر "جابرييل" لطبق التقديم ، وهتف : فطائر . وحملت هذه الكلمة إحساسه باللذة وهو يلتهم الفطائر بعينيه قبل ان يمد يده ليصيب شيئا منها . وفكر في نفسه ، ياله من وقت طويل !

وابتسمت "جاكي" رغم المها المتصاعد .

- "لقد وعدتك" ولكن لماذا تعني له الفطائر كل هذا ؟

ومد يده إلى سائل التحلية :

- "ليس كل إنسان يفي بوعده"

ودفعت "جاكي" بالزبد والسائل تجاهه ، وهي تغمز بعينيها بدون انتباه قائلة :

- "ولكني كذلك " . وسمعت "مالكولم" يتذمر ، فقالت له :

- "لقد اخذت كفايتك " فهي لاتنسى تحذير الطبيب له من الإسراف في الطعام، وتصر على ان تحافظ على وزنه ، حتى ولو كلفها الأمر بعض كلمات جارحة.

ورفع "جابرييل" عينيه إليها لحظة . امراة تفي بوعدها ! صفة كريمة اخرى . إن رصيدها لديه يرتفع .

- "امر طيب ان يعرف المرء ذلك" .

وجذبت نبرة صوته انتباهها اكثر من اي شيء اخر . ولم تتمالك نفسها من ان تشعر بكلماته القليلة تحمل اكثر مما يبدو على السطح . ونفضت هذه الفكرة عنها . مخبرة نفسها انه الإجهاد الناشئ عن الموقف . ومعه ذلك الصداع الذي يصارع ليكسب ارضا جديدة في راسها . إن الأمر واضح "جابرييل" احد رعاة البقر . الذي القى به الحظ الميمون في طريقها .

ووضعت على المائدة مزيدا من الفطائر . ولكنها بدلا من ان تتناول منها شيئا، اخذت جرعة وافية من القهوة بلاحليب . ثم وضعت القدح على جبهتها . وساعدها ذلك قليلا .

ولاحظ "جابرييل" اثار الالم في عينيها، وعلى فكها المتقلص . وتساءل إن كانت مريضة .

- "إنك لاتاكلين" .

ودهشت لما ابداه من اهتمام، وكيف انه عبر عنه بمجرد سؤال عادي. فهزت كتفيها قائلة :

- "لست جائعة" واخذت تمرر القدح ببطء امام عينيها .

وتطوع "مالكوم" بالقول :

-"لقد عاودها صداعها" .

إنه يعرف علاماته، رغم قلة حدوثه وتباعد فتراته. إنه يهاجمها في الصباح الباكر، ثم يصاحبها يوما او يومين. ولام نفسه على هذا ايضا، باعتباره ناتجا عن عبء مسؤولية المزرعة. وكان جزء من نفسه يحدثه أن يبيع المزرعة، وينهي كل هذا الأمر، ومعه احلام ماض. لم يعد لها مجال ان تتحقق مرة اخرى. إنها انانية منه ان يجشمها كل هذا العناء. ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل عليه. لقد كان بمثابة التخلي عن حياته كلها .

وقالت له "جاكي" برقة :

- "جدي" ، ماشان "جابرييل" بصداعي ؟"

وتراجع "جابرييل" في مجلسه ، واخذ يتفحص وجهها لمدة طويلة :

- "هل تتناولين شيئا له ؟"

واحرجها ان تكون فجاة محور الاهتمام ، فسحبت طبق جدها ووضعته على طبقها ونهضت واقفة .

وتظاهر "مالكوم" بانه يريد استرجاع طبقه ، وهو ينادي مزمجرا :

- "هاي ! إنني لم انته بعد" .

فمالت عليه وربتت بطنه :

-"حسنا، لقد امتلا" . والتفتت لـ"جابرييل" عالمة بانه ينتظر منها إجابة :

- "لا . لااخذ شيئا له . فلا شيء يفيد ضده على اي حال ، وهو ينقشع في يوم او اثنين" .

وحمل "جابرييل" طبقه وقدحه وتبعهاإلى الحوض . ووضعهما على منضدة التخديم . ثم فتح الباب الذي إلى يساره ، وقال مشيرا لغرفة حفظ المواد الغذائية :

- "هل تسمحين؟"

ودهشت إذ كان قد اكل ثلاث فطائر كبيرة الحجم ، اتراه لايزال جائعا ؟ وردت :

- "تفضل" .

وتحكمت في فضولها وهو يبحث في هدوء . وانصرفت إلى الاطباق تغسلها ببطء . وكانت اواني ليلة امس قد غسلت ، ولكنها لاتزال على الرف تنتظر ان ترفع إلى مكانها . وهي قد اخذت على نفسها ان تترك المطبخ نظيفا مرتبا قبل ان تنشط للعمل في الخارج . وفي مثل يوم كهذا ، كانت تفتقد "ماريا" معها ، لتحمل عنها عبء كل هذه التفاصيل . ولكن لم يعد هناك معني لتمني اشياء لن تتحقق . وارتشف "مالكوم" اخر قطرات من مقدار القهوة الذي تسمح له بها "جاكي" إلى وقت الغداء ثم تقابل قدحه مع الطبق في صوت رن صداه في راس "جاكي" ، وقال وهويدفع بكرسيه مبتعدا عن المائدة :

- "عن إذنكما ، فلدي بعض القراءات هذا الصباح" وغادر المطبخ .

وكان "سويتهارت" جالسا على الأرض بينهما ، يدق بذيله كبندول

على الأرض في ترقب ، وبدا لها ذيله ذلك الصباح عاليا بصورة غير عادية . فانحنت عليه قالبة له شفتها وهي تقول :

- "قطعة واحدة فقط ، اتسمع ؟" ثم اخذت واحدة من الفطائر المتبقية لتضعها امامه، وقالت لـ"جابرييل" وهي لاتزال تتطلع إلى الكلب:

- "يجب ان اكون حازمة مع كليهما ، "سويتهارت" وجدي ، فكلاهما لايعرف مصلحته".

وخُطفت الفطيرة من يدها قبل ان تصل للوعاء . ثم وقفت "جاكي" واضعة يدها على جبهتها . تتمنى لو يختفي ذلك السهم الذي يخترق رأسها . وكادت عيناها تبرزان من محجريهما . وتنهدت . ياله من يوم تبدؤه بهذا الشعور . إلا انه لم يعد هناك ايام سهلة في الضيعة .

واخذت خطوة إلى الخلف ، فاصطدمت بـ"جابرييل" . وكلفها الابتعاد عنه شيئا من الجهد ، وهي واعية لمس الكهرباء الذي سرى في جسدها لهذا التلامس ، والذي سرعان ماانقشع نتيجة لما تشعر به من الم ، وشعورها بانه ليس امامها من وقت تضيعه في تلك المشاعر .

- "هاك"

وفتحت عينيها لترى زجاجة قاتمة يتصاعد منها شيء ما ويقدمها "جابرييل" لها . فقالت في شك :

- "ماهذا" ؟

- "اشربي" كان امرا ملفوفا في نبرة مخملية ، ولكنه امر لاشك فيه . وتطلعت "جاكي" لراعي البقر الطويل النحيل ، قاتم الملابس ، وقد بدا الالم ينزل إلى عنقها مهددا بان يصل إلى كتفيها بعد ذلك او عندئذ ستصبح غير قادرة تماما . سحقا !

- "لماذا افعل ذلك ؟"

- "إنه سيزيل مابك من الم".

وكانت الفقاقيع ترتفع على السطح لتتفجر في رقة . وقالت :

- "إنه يشبه ماأعطي لأميرة الجمال النائم ليجعلها تنام لمائة عام".

وابتسم لها في حنان ، ولكنه لم يبعد القارورة .

- يخيل إلي انه قد اختلطت عليك قصصك الخيالية".

وتناولت منه القارورة بخفة وعزم غريبين . وكانت القارورة باردة ورطبة في يدها ، وبدا ان أزيز فوران مابها لن ينتهي ابدا .

- "ماذا بها ؟"

ونظر في عينيها :

- "قليل من هذا وذاك" .

وتذكرت إجابته حين سالته عن عمله .

- "بين هذا وذاك" . دائما هذه الإجابات الغامضة .

- "الا تكون واضحا في إجابتك ابدا ؟"

واستمرت المطارق تدق في رأسها ، وبدا يمسك بكتفيها . ماذا يعنيها إن كان غامضا ؟ ربما تكون الفائدة في هذه الجرعة السحرية . لقد وصل الالم إلى درجة سيئة ، وهي على استعداد لبيع روحها للشيطان لتخفيف مابها .

- "احيانا يكون من الأسهل على المرء الا يكون واضحا" . ودفع بالقارورة إلى فمها .

- "إنها ستشعرك بالتحسن . اعدك بذلك" .

وكان في نظراته - اكثر من نبرة صوته الساحرة - ما اقنعها ، ثم ماأوجه الضرر المحتمل ؟ .

إنه لم يستعمل إلا ماكان لديها من مواد غذائية داخل بيتها . وليس فيها مايمكن ان يجعل صداعها اسوا .

- "إن الشيء الوحيد الذي يشعرني بالتحسن الآن، هو رأس جديد" .

ومع ذلك فقد تجرعت شيئا منه وكان طعمه لاذعا وغريبا ، وخيل لها انها تذوقت فيه طعم الليمون، ولكن بقية المذاقات كانت غريبة عنها، وكانها تحجب بعضها بعضا . وتصاعد فوران السائل إلى انفها، ورطب خديها وهي تتجرع منه جرعة رات انها سترضي "جابرييل" بها قبل ان تناوله القارورة ، ولكنه هز راسه رافضا :

- "كل مابها" .

ولم تدر "جاكي" إذا كانت معدتها ستتحمل جرعة اخرى ، ولكنها عبت مابقي في القارورة . ثم وضعتها على الطاولة . وشعرت بقشعريرة ، وانه كانما اشترك جسدها كله في تجرع ذلك الشراب ذي

الطعم البشع .

- "إنه أسوأ ماتذوقت طوال حياتي" .

وأخذ القارورة وصب عليها الماء قبل أن يجيب :

- "ليس المفروض أن يكون طيب المذاق ، بل إنه يشفي مابك" .

- "لو حدث ذلك ، فستكون معجزة منك" .

وضحكت ، ولم تؤلمها الضحكة بالدرجة التي توقعتها ولم يزد هو مكتفيا بالابتسام وراته بذلك يعود إلى طبيعته الأولى ، ونظرت لـ"سويتهارت" الذي كان قد نهض ليقف بجوار "جابرييل" . يبدو أن الكلب قد قرر أن يتبناه .

ومدت يدها بطريقة آلية إلى القارورة وجففتها ، وأخذت تعلق الأواني في أماكن تعليقها .

- "متى يستيقظ أصدقاؤك في الصباح إذن ؟"

وقابل سؤالها بشيء من الدهشة .

- "أعتقد أن أول شيء تفعله هو أن تأتي بحصانك . لقد قلت إنك تركته لديهم" . وقد ساورها شك مبهم وهي تذكره بذلك . إنه قد ادّعى ذلك ليحفظ ماء وجهه فربما لم يكن لديه شيء آخر يمكن أن يدعي ملكيته .

ورفضت الفكرة على الفور فـ"جابرييل" الملقب بالطيب غير محتاج إلى أكاذيب لترفع من شأنه إذ كان وجوده يبدو كأنه أكبر من الحياة ذاتها ، ولم يكن محتاجا إلى أشياء مادية يمتلكها ليعرف الناس قدره . لقد كان وحيدا ، رث الثياب ، يصارع الحياة . ولم تكن الملكية تعني له شيئا .

وجاءت من الخلف ست دقات من اتجاه غرفة المعيشة دقات الساعة التي ورثها "مالكوم" عن جده .

- "المفروض أنهم قد استيقظوا الآن ، إنهم يعيشون بالقرب من مدينة "سان كليمنت" المجاورة" .

وخلعت "جاكي" المريلة وطوتها بعناية ، ووضعتها على رف في غرفة الخزين . وراقب "جابرييل" حركاتها ، وبداله مالها من قيمة عاطفية لديها . فأشار إليها برأسه سائلا :

- "مريلة والدتك ؟"

وأغلقت "جاكي" الباب المزدوج للغرفة ، وردت :

- "بل مريلة جدتي ، وتعطيني الشعور بأنني أستطيع أن أطهو أشهى الطعام وأنا أرتديها" . وسارت أمامه إلى غرفة المعيشة ، حيث لاحظت أن باب غرفة المكتب منفرج قليلا ، والدخان الخفيف يتصاعد خارجا منها لايكاد يلحظه أحد . وهزت رأسها . إنه يجب أن يراقب كل دقيقة .

- "لقد كانت كذلك" .

والتفتت لتنظر إلى "جابرييل" وقد قطعت عبارته حبل أفكارها .

- "كانت ماذا ؟"

وكان وجهها على بعد عدة بوصات من وجهه ، وكبح رغبة انتابته طال عهدها . إنه في طول تجواله ، لم يصادف فتاة تماثلها عذوبة وجاذبية . لم يكن ثمة مسحوق على الوجنتين النحيلتين ، ولاظلال عيون تصبغ جفني عينيها الشبيهتين بثمار اللوز . ليس أكثر من قليل من لون على شفتيها المكتنزتين ، ولكنها أكثر من كافية لأن تثير رجلا بأن تذكره بحاجات أساسية كانت يوما جزءا من حياته . وأعاد ذهنه إلى الحديث مرة أخرى .

- "طعاما شهيا" .

- "الفطائر؟"

- "الفطائر"

- "لاتدخين ياجدي !" صاحت بذلك من وراء ظهرها وهي تسرع إلى الباب الخارجي وجاءها صوته مزمجرا من خلفها :

- "ألا يمكن للمرء أن يكون على حريته في بيته ؟" ونظرت إلى "جابرييل" وقالت :

- "إنك سهل الإرضاء" ومدت يدها إلى معطفها من فوق مشجب بجوار الباب .

- "لقد مر وقت طويل جدا لم أتناول فيه فطائر" .

وتوقفت يدها على المعطف . إنه لايبدو كشخص عاجز أن يصنعها لنفسه على أقل تقدير .

- "أين كنت ؟"

وظل برهة كما لو كان لايود الإجابة ، مما زاد من استغرابها . وحين

فتح فمه جاء الرد المألوف :

- "من أقصى .."

- "الشمال" أكملت له ضاحكة وهي تشيح بيدها . إن الرجل يزداد غموضا، وعليها أن تؤقلم نفسها مع ذلك. إنها لاتحب الغموض. تحب أن تكون على علم بكل شيء، "طفيلية بالميلاد" ، كما كان جدها يدعوها.

وقفت في الشرفة ، ويداها في جيبي معطفها ، وفوقها بقايا النجوم التي بدأت تذوي ، وقد فقدت معركتها مع ألوان السماء الآخاذة مع شروق الشمس . وكان هواء الصباح باردا منعشا وهو يهب على وجهها . وأحست ببهجة لمجرد وجود الإنسان حيا .

ولفت ذراعها حول ذراع "جابرييل" ، وقالت منتشية :

-"هيا ، إن السيارة هناك على البعد" وجرته إلى جانب المنزل .

وحين افترقا عند السيارة ، شعرت بلذعة خفيفة من الأسف لأن تترك ذراعه. واتجهت هي إلى مقعد القيادة . وجلس صامتا بجوارها ، وشبهت صمته بانبلاج الصباح . وأدارت مفتاح التشغيل وقالت :

- "عليك أن تبين لي اتجاه السير" .

وهز رأسه :

- "لامشكلة" ثم التفت إليها قليلا : "وبالمناسبة" .

إنه سيبدأ حديثا معها . أعجوبة أخرى !

- "نعم ؟"

- "كيف حال صداعك؟"

- "إنه .." وتوقفت فجأة، ثم التفتت إليه، وقد عقدت الدهشة لسانها. ثم همست : "لقد زال !"

ولم يعلق بكلمة . وهو يعود إلى مجلسه ، مكتفيا بالابتسام .

وأولت انتباهها للطريق بدون أن تنبس بحرف واحد . إن ما انجزه هذا الرجل لا يقل عن معجزة بأية صورة ، معجزة تضاءلت بجوارها شركات الأدوية العريقة . وتزاحمت آلاف الأسئلة في رأسها وهي تتجه صوب الشمس المشرقة. هذا الرأس الذي كان نهبا للصداع منذ لحظات مضت .

الفصل الخامس

ياله من شعور طيب أن يعود المرء للعمل بحرية ، وأن يقوم بشيء محدد ، شيء منتج ونافع بعد هذا الوقت الطويل من الإحساس بعدم النفع . لقد كان على "جابرييل" أن يبعد عن حياته كثيرا من المسرات الصغيرة ، وأن يتعايش مع مالايمكن احتماله . ولكن ها هو ذا قد عاد للحياة مرة أخرى ، يطأ الأرض ويتنسم عبير الصباح ، ويراقب الشمس في إشراقها ، ويأكل الفطائر . وابتسم لهذه الفكرة الأخيرة .

ولكن الوقت وقت الجد ، وليس وقت أحلام اليقظة . وأبعد عنه أفكار الماضي بلا عناء فمن دواعي رضا "جابرييل" عن نفسه أنه ماهر في ذلك. ماهر في التغلب على أي شيء مقبض أو محبط . إنه هنا الآن، نافع ، ومعين لشخص ما . ولنفسه أيضا . وليس له أن يطلب ماهو أكثر من ذلك . وصفر مرحا وهو ينشر العلف بعصا ذات شوكة في طرفها . حتى إزالة الروث عن الإسطبل كان عملا يبعث البهجة في نفسه .

ووخزت شوكة كف "جاكي" فتوقفت عن العمل ، ونظرت موضعها

www.liilas.com

فوجدت جزءا صغيرا ناتئا منها ، نزعتها بعناية وحكت كفها في بنطلونها الجينز . وما إن ارادت العودة للعمل ، حتى جذب اللحن الرقيق الهادئ انتباهها . فاتكات على يد جاروفها تتجاوب روحها مع نغمته ، وشعرت بسعادة غامضة تملأ نفسها . كانت تعمل في الجانب الآخر من الإسطبل، بينما الجياد الثمانية تسرح في الساحة المكشوفة، إلى أن تعود لإسطبلاتها . واخذت "چاكي" تراقب "جابرييل" ماخوذة وهو ينشر العلف في آخر مربط بذلك الجانب من الإسطبل ورغم انها تعتبر نفسها عاملة نشيطة ، فقد كان ينجز هو مربطين مقابل واحد منها .

من الواضح انه لم يكن يرفض العمل الشاق بل على النقيض ، يبدو كانه يثير حميته . وكان من الواضح انه يحب العمل مع الجياد . ولم تكن حادثته مع "سويتهارت" حادثة عارضة فيبدو انه على علاقة طيبة مع كل الحيوانات . إذ كانت افراسها الصغيرة تستجيب للمسته الحانية ، وصوته العذب ، رغم انها تجفل بطبيعتها من اي يد غريبة.

وابتسمت لنفسها وهي تفكر في ان هذا مسلك كل الكائنات الحية إزاءه ومسلكها هي ايضا .

ووجهت نظرها إليه وقالت مخاطبة :

- لأول مرة أجد شخصا يغني وهو ينظف الإسطبلات . فكل العمال الذين كانوا يعملون لدينا كانوا يحبسون انفاسهم هنا" .

ودعكت انفها وهي تقول ذلك . إنها تحب العمل في المزرعة وتنظر للجياد على انها أجمل مخلوقات الله . ولكن رائحة الإسطبل لم تكن قط مصدر إيحاء شعري لها .

وجه إليها واحدة من ابتساماته التي تخطف روحها اكثر واكثر كلما تلقتها منه وتساءلت إن كان هو عالما بذلك .

- "إن هذا يعتمد على رؤيتك للأمور" . وكان قد انتهى من المرابط التي في ناحيته فتحول ناحيتها . ومد يده لجاروفها قائلا :

- "اتريدين مساعدة ؟" وجاءت يده فوق يدها ، فسحبتها تاركة له الجاروف بشعور مختلط بالذنب مع السعادة . وخطت للخلف قائلة :

-"إنني لا ارفض طلبا لعامل لدي ابداً" . وجاءتها اصوات الأفراس

الصغيرة وهي تتململ وكانت تعلم أن عليها أن تعيد الحيوانات لحظائرها ، ولكنها كانت ترغب في الحديث مع "جابرييل" قليلا . ذلك الرجل الذي أصبح جزءا من حياتها بمنتهى السرعة .

- "وكيف تنظر انت للأمور" .

وكان ظهره لها حين أجاب :

- "كقاعدة عامة ، بنظرة متفائلة" .

وتساءلت بداخلها عن السبب .إنه لايبدو عليه انه يملك شيئا عدا ذلك الحصان الذي اتيا به صباح اليوم السابق . وبدا لها انه من الصعب أن يكون المرء متفائلا في ظروف كهذه . إنه مختلف عن كل من قابلتهم في حياتها . فما الذي يجعله كذلك ؟ إن كل يوم مر منذ وصوله كان مثيراً لمزيد من الأسئلة ، دون إجابة" .

- "أحقا ؟"

وتوقف عن العمل لينظر إليها . إنه يعرف أن هناك اموراً يجب عليه أن يخبرها بها ، وانها تود معرفتها . ولكن لم يحن وقتها بعد . ليس قبل أن يتاكد من انها ستفهم .

وغمرت اشعة شمس الصباح الإسطبل آتية من بابه المفتوح وبدا الضوء متباينا مع قميصه وبنطلونه الجينز الداكنين .. وبدت بشرته البرونزية ذهبية حين سطع عليها وخيل إليها بومضة فكر عابرة انه لاينتمي لهذه الأرض .

- "حقا !"

فقالت بعناد :

- "لماذا ؟" إنها تريد أن تعرف السبب . فهي متفائلة اساسا ، وإلا لكانت قد استسلمت منذ وقت طويل . ولكن ،على الأقل كان لديها المبرر لذلك اما هو ، فما الذي لديه لينظر للدنيا بهذا المنظار ؟ لقد كانت متعطشة لمعرفة الإجابة .

ورد ببساطة :

-"ولم لا ؟"

وشعرت بشيء من الذنب لملاحقته بالأسئلة ، وهزت كتفيها خفيفا وهي تزيح خصلة شعر سقطت على جبهتها . ثم أخرجت مشبك شعر

ثبتتها به وقالت :

- "اتدري يا "جابرييل" لو لم تكن عاملا زراعيا ، لكان الأحرى بك أن تكون طبيبا نفسيا . فهم أيضا لديهم هذه العادة المثيرة للغيظ ، بالإجابة عن الأسئلة بالأسئلة " .

واستدارت لتنتبه لعملها ، وجعلها صوته تتوقف ، وينحسر عنها ما تشعر به من ضيق . فالتفتت إليه وهو يقول بهدوء :

- "لم اقصد أن اضايقك " . وتحركت عيناه الزرقاوان العميقتان بلا تعجل على وجهها ، وشعرت بهما تمسان وجهها وتخبرانها بانه يقول الصدق .

فهزت راسها بشيء من الحرج ، وقالت ضاحكة وهي تعبث بالحبل الذي في يدها لحزم غذاء الحيوانات :

- "آسفة ، إنني كثيرة الأسئلة " .

واحب صوت ضحكتها ، إذ وقع في اذنيه كقطرات المطر في الربيع على أوراق الشجر المورقة ، تذكره بالربيع ، وبالأمل .

- "وانا شحيح الإجابة " .

- "نعم ، ولكن ، ربما وجدنا علاجا لذلك " .

- "ربما" .

وأسند الجاروف إلى الحائط وتناول الشوكة ، وعاد لعمله بجد . فما زال أمامه الكثير من العمل الشاق قبل أن يقول إنه انهى يوم عمله .

ليس "ربما" . لقد قررت "چاكي" أن تعرف المزيد عن "جابرييل" الملقب بالطبيب مهما كلفها الأمر. لقد اثار في نفسها الفضول ، مع شيء آخر، لو كانت صادقة مع نفسها .

ورغم انه كان يعمل بإيقاع منتظم ، فقد لاحظت انه يرقبها خلال رموشه الداكنة ، وعاودها الشعور فجاة بانه يستطيع أن يرى مباشرة مابداخل عقلها . وان يقرأ افكارها وحتى لو كان هذا صحيحا ، فهي لن تتوقف عما انتوته .

وقالت له :

- "إني ذاهبة لإحضار الجياد " . ولم يرد إلا بهزة من رأسه .

* * *

- "أهذا له ؟ "سالها "مالكوم" وهي تصنع شطيرة ضخمة من اللحم المحمر .

وكانت "چاكي" قد عودت نفسها الا تجفل حين ياتي جدها من ورائها. لقد كانت خطوته خفيفة بالنسة لقصير ممتلئ الجسم مثله ، ولكن ما كان يثير دهشتها اكثر انه رغم تحركه الآن على كرسيه فقد كانت حركته لاتزال خافتة .

ووضعت ورقة عريضة من الخس فوق المايونيز ، ثم غطتها بشريحة خبز ثانية ونظرت لعملها البارع برضا . فهذا من شانه أن يعطيه مايحتاج إليه من طاقة .

وقالت لـ"مالكوم" بلامبالاة وهي تلف الشريحة :

- "إنه لن ياتي للغداء ، ونسي ان ياخذ شيئا معه" وازاحت علبة عصير البرتقال جانبا ووضعت بجوارها الشريحة في السلة .

- "إنه يصلح السور ، ورايت أن اذهب له بالطعام بسيارتي" .

وربت العجوز ذقنه وقال :

- "بُعد نظر" ولم يبذل اي جهد لإخفاء ابتسامة عريضة شملت وجهه باكمله .

وتنهدت "چاكي" . إن الرجل العجوز ليس لديه سوى فكرة واحدة في راسه . وخطت ناحية الثلاجة ، وانطلق "سويتهارت" بعيدا قبل أن تطاه سيدته بقدمهاوهي غير واعية له ، إذ كان ذهنها معلقا بجدها :

- "لاترمني بهذه النظرة المريبة منك ياجدي ، لقد وعدته ان احضر له الطعام"

واخذ الرجل نفسا عميقا ، ثم اطلقه وهو يتامل الدخان المتصاعد في حلقات:

- "نعم ، لقد كان وعدا منك " .

ودلتها نغمة صوته على رايه في ذلك العذر الذي ابدته . فابعدت حلقات الدخان بيدها وقالت :

- "إن الطبيب لايعجبه هذا التدخين منك" .

- "وانا لايعجبني الطبيب فنحن إذن متعادلان " وجذب بإصرار نفسا عميقا، وهو يتطلع للالوان المختلطة في مقدمة غليونة بتلذذ حقيقي .

سارحا بذكرياته يوم أن أهدته زوجته هذا الغليون . كان عيد زواجهما العشرين ، آخر عيد لهما . وفكر في أسى في أن "چاكي" بحاجة لذكريات كهذه .

- "كيف يسير في العمل ؟" .

والقت "چاكي" ببعض المفارش في السلة :

- "جابرييل؟"

- "بالتاكيد "جابرييل" . فانا اعرف كيف يسير الطبيب في العمل" .

وحك قدميه الخدرتين وزمجر قائلا :

- "كاسوا مايكون" .

واحست "چاكي" بوخزة إشفاق ، تجاهلتها على الفور ، فليس "مالكوم" من يتقبل الإشفاق من احد ، حتى منها .

- "إنك لايمكن ان تتوقع المعجزات ياجدي" .

- "يمكنني ان اتوقع ما يحلو لي يا انسة . وقد سالت عن سير "جابرييل" في العمل . إن هذه المزرعة لاتزال ملكي . وقائما او قاعدا ساظل اديرها" .

وبعد تردد فتحت باب الثلاجة واخرجت منها تفاحة . وزمجر "سويتهارت" وهو يراها تضعها في السلة :

- "لم يقل احد خلاف ذلك" .

وطرق "مالكوم" الغليون المطفا على يد الكرسي

- "لم اكن اقصد الصياح بك يا "چاك"" .

وتوقفت ونظرت إليه . لقد كان يقترب من الاعتذار ، ولم تكن لتنتهز هذه الفرصة . فقبلت راسه قائلة :

- "أعلم . كل مافي الأمر انك عنيد مشاكس . وكإجابة عن سؤالك .." واغلقت غطاء السلة و تعمدت ان تضعها وسط المنضدة بعيدة عن الكلب" .. إنه يعمل كاحسن مايمكن" .

ولم يكن يتوقع خلاف ذلك . فانفجر ضاحكا :

- "ربما لانه يضع عينه على حفيدة صاحب الضيعة"

ليت الأمر كذلك ! وكبتت في نفسها تلك الأمنية إذ لاوقت لديها للعواطف، إن امامها ضيعة يجب إنقاذها .

- "إنه لا يضع عينه إلا على عمله" .

لقد لمحت خلال الاسبوعين الماضيين مايمكن ان يكون نظرة او نظرتي إعجاب تجاهها ، ولكنها قدرت أن يكون ذلك من وحي تفكيرها .

ولم يقتنع "مالكوم" بإجابتها :

- "إنه لايبدو لي شخصا غبيا" .

كان الجاكت ملقى على ظهر الكرسي ، فالتقطته "چاكي" والقته على كتفيها ، والتقطت السلة بيدها الخالية :

- "لا ، إنه ليس كذلك" . ومالت طابعة قبلة على خد "مالكوم" ، فدغدغت ذقنه خدها .

- "لماذا بحق السماء اتريده كصهر لك ؟" وانطلقت ضاحكة تطفر في مرح .

وامسك "مالكوم" بيد الكرسي ليتمكن من أن يميل بجسمه للأمام اكثر، وصاح:

-"لعدد كبير من الأسباب" .

فالتفتت وراءها وصاحت به ساخرة :

- "ساتركك إلى المساء لتبحث عن سبب واحد" واغلقت الباب الخارجي وراءها .

وصرخ "سويتهارت" وقد كاد الباب يقفل على ذيله . وهبط درجات السلم قفزا ثم انطلق إلى السيارة ، وقفز واضعا نفسه في مقعد السائق . ووضعت "چاكي" السلة على المقعد الخلفي .

- "لامرافقين معى هذه المرة يا"سويتهارت" . ثم إن المفروض انك كلب جدي هل نسيت ؟ هيا وكن برفقته" . وظل الكلب جاثما مكانه .

- "هيا!"

وقفز الكلب من السيارة مزمجرا :

- "إن تصرفاتك تزداد شبها بتصرفات جدي كل يوم أيها الكلب . والآن . عن إذنك" .

وراقبته وهو ياخذ خطوة واحدة بالضبط للوراء ، ثم يقف لينظر إليها . ووضعت يدا على عجلة القيادة ، وادارت المحرك ، وقالت :

- "إلى اللقاء" ، وانطلقت تجاه الشمال في سعادة .

وتزايدت خفة روحها وهي في الطريق ، فاخذت تغني مع الحان اغنية مذياع السيارة ، إلى ان لاح لها على البعد شبح نحيل يعمل في إصلاح جزء مكسور من السور . وكان اليوم حارا ، وقد نزع ملابسه عن نصفه العلوي . وكانت قطرات العرق تلمع على كتفيه وظهره ونظرت "جاكي" لعضلاته المفتولة ، وشعرت بشيء داخلي يثور ، ثم يتقلص كزنبرك ، وبدقات قلبها تزداد عن اي مرة اخرى .

وغمغمت لنفسها وهي تقترب منه : "واجهي الحقيقة يا "جاك" . إنك ستقعين في اسر اجيرك . لا ، إنه ابدا لن يكون كذلك . قد يكون مضطرا للعمل لقاء لقمته ، ولكن شيئا نبيلا يبدوعليه ، ولا يمكن ان يخفيه ما يرتديه من رث الثياب .

إنه سيد نفسه ، مهما كانت الظروف .

وشعر بها "جابرييل" تقترب . وحتى لو لم تكن مقبلة بسيارتها ، لاحس بها من على البعد . لقد اصبح معتادا استقبال ماترسله من موجات . واعتدل ملتفتا إليها ، يمسح العرق عن جبهته بظهر يده وقال :

- "لقد اوشكت على الانتهاء" . وترك المطرقة تهوي من يده . وردت :

- "لقد لاحظت ذلك" .

وترك "جابرييل" عينيه تجولان فيها . حتى وهي تقود السيارة ، فهي تماثل الجياد الرشيقة في رشاقة حركاتها الحبيبة إلى نفسه . واحس فجاة بجوع يتملكه، لاعلاقة له بالطعام ، ودهش كيف تزدهر مشاعر كانت كامنة بداخله لعهد طويل . مشاعر لايمكنها ان تمحى مهما طال الأمد .

إنه يدرك انه لايمكن له ترك تلك المشاعر تنمو . ولكن قربها كان يغذيها وابتسم على غير وعي منه .

وتساءلت : ماالذي يفكر فيه ؟ إن ابتسامته لغامضة . ربما يتصور انها اقبلت تتابع عمله .

- "لم آت لكي اتاكد من سير عملك" .

وانباتها نظرته انه يدرك ذلك . يبدو انه يعلم كل شيء قبل ان تتفوه به . عادة مزعجة . وإن كانت مثيرة للإعجاب بقدر كبير ، وهو نفسه -

مثير للإعجاب بقدر كبير ، هذا الطراز القوي الصامت .

وتنحنحت قائلة :

- "لقد احضرت لك غداءك . لقد نسيته" .

ومر بيده على بطنه . كانت عضلاته مشدودة ، نتيجة للعمل الشاق ، وبنطلونه الجينز التصق بجسده الرشيق . ومد يده ليتناول السلة قائلا :

- "لقد كان بطني يزمجر ولكني كنت اتجاهله" .

- "اسفة . كان المفروض ان احضر مبكرة" . وبدات تنزل من السيارة ودهشت انه مد يده ليساعدها . وحين وقفت ، لم تكن المسافة بينهما سوى بوصة ، واحست بحرارة جسده ، وشمت رائحة العرق المتصبب نتيجة الجهد الشاق . لفحت انفاسه عنقها .

- "لاعليك يا "جاكي" . لقد تعودت الجوع" .

وهزت راسها لتصفي ذهنها ، وقد بدات ومضات من النار داخلها وشعرت ببلل في راحتيها ، وهو امر لم تعهده من قبل .

- "ليس وانت تعمل هنا" . واخذت نفسا عميقا بطيئا لتضبط تنفسها وشعرت وكانها تسير على ارض غير مامونة ، إنه شعور لم تشعر به تجاه رجل من قبل. عاودها الشعور بانه لايشبه اي رجل اخر.

إن إحدى مشاكلها ، كما كان جدها يشير دائما ، انها كثيرة الكلام . ولكن "جابرييل" كان يشعرها بالخجل . كانت تشعر معه انها في حضرة إنسان تفوق خصاله الحسنة حد الواقعية وغاية في الغموض. إنه لم يخبرها بعد عن تلك التركيبة التي عالج بها صداعها، ولاعن مسقط راسه ولم يجب عن اي سؤال من الأسئلة التي تتزاحم في راسها .

وفتح "جابرييل" السلة ، ثم اسقط غطاءها ونظر لـ"جاكي" :

- "إن الطعام بها اكثر من اللازم" .

- "اهذه دعوة للمشاركة ، ام نقد على الإسراف ؟" وعضت شفتها اسفة على زلة لسانها ، وقالت :

- "إني اسفة" .

وبدا وكأنه لم يفهم مغزى كلامها ، أو يتظاهر بذلك. فقال :

- "عن أي شيء . إنني أنا الذي يجب أن يأسف . هل تشاركينني ، أم وراءك شيء آخر تقومين بعمله ؟"

وطاف بذهنها العديد من "شيء آخر" ، كانت لها منذ أسبوعين الأهمية القصوى، ولم تعد لها هذه الصفة الآن .

- "لاشيء يمنع من أن أقضي بعض اللحظات معك" . وأومأت برأسها للسيارة .

- "هلا جلسنا داخل السيارة ، حتى نستمتع بطعامنا خاليا من الحشرات؟"

ووضع عليه قميصه ، وشعرت هي بشيء من الأسف ، ثم لامت نفسها على غبائها كيف وهي في السادسة والعشرين تتصرف كمراهقة ؟ ولكنها تذكرت أنها لم يحدث أن تصرفت كمراهقة طوال عمرها ، وحتى الآن .

ولم يهتم "جابرييل" بتزرير قميصه ، فهو سينزعه بعد الطعام . فظل متدليا من جانبه مظهرا صدره الناعم المليء بالعضلات .

ولم يكن المفروض أن يشعرها قربه بالتوتر ، ولكن ، هذا ماكان يحدث .

قالت وهي تنزع رقيقة الألمونيوم من فوق الشطيرة :

- "أتعلم أنك سريع في العمل جدا . بهذا المعدل ، لن تجد أمامك شيئا تعمله".

لا ، بل هناك دائما عمل يتطلب الإنجاز . واستقرت في جلستها داخل السيارة ولكن غير مستطيعة الاسترخاء . غير أنها في حاجة للكلام ، لسبب ما، حتى مع جفاف حلقها ، واحتمال أن يلتصق به الطعام .

ولو كان رجلا آخر ، فربما أطلق نكتة حول هذه الصورة من حصوله على أجره ، أو أبدى زهوا بعمله . ولكن "جابرييل" مر على تعليقها مرور الكرام وقال:

- "إنن أبدأ العمل بالمنزل" .

وتذكرت حالة منزلها ، وأن الوقت لم يسمح قط بإجراء الترميمات

عدا المؤقتة منها . وكانت تؤجلها إلى أن تتيسر الأمور ، التي لم تتيسر بعد .

- "سيسر جدي لذلك" .

وجاءتهما أصوات الطيور ينادي بعضها بعضا وهي تطير في تشكيل منتظم، وهي تتخذ الوجهة المحددة لها منذ بدء الزمان . إن الطبيعة في أزهى أوقاتها . واختلست نظرة لـ"جابرييل" وهي تفكر في ذلك . في أزهى أوقاتها حقا . واستند "جابرييل" بمرفقه إلى كرسيه وهو يأكل .

- "إنها ضيعة جميلة يا "چاكي" ".

ولم يكن ليقول ما هو أكثر ليشعرها بالسعادة . وانطلقت تضحك في عذوبة : - "لقد كنت أقضي كل صيف هنا وأنا طفلة . وأولى ذكرياتي حين كان جدي يجلسني على ظهر حصان ويدور بي حول الحظيرة . لم يكن حصانا حقا ، بل مهراً صغيرا ، ولكن حينما تكون في الثالثة من عمرك، يبدو لك كل شيء كبيرا خاصة جدك" وأغمضت عينيها للذكرى:

- "لقد كان أمامي دائما رجلا ضخما ، قويا ، مليئا بل بالحيوية" .

ولاحظ "جابرييل" أنها بدأت تستعيد مرحها دون أن تشعر هي بذلك ، ثم مالبث أن غشى صوتها شيء من الحزن :

- "ثم دار الزمان دورته ، وكبرت أنا، وصار هو أصغر . ولكنه لايزال أكبر من الحياة بالنسبة لي . كم من المؤلم له أن يكون محبوسا في كرسي متحرك" . ولاحظ عينيها تزدادان عتمة .

- "إنه يتأقلم مع الموقف بسرعة مع ذلك" .

- "ولكنه لن يستمر على ذلك لو بيعت المزرعة" .

- "احكي لي عنها يا "چاكي" ".

وشعرت كما لو كانت تعرفه منذ زمن طويل ، وأنه يعرف كل شيء بصورة ما ، ولاحاجة لها بأن تخبره ، ولكنها كانت تنتابها رغبة دفينة لأن تحكي له :

- "ليس هناك الكثير ليقال . لقد كانت كبيرة ، وأصبحت صغيرة" .

- لماذا ؟" وكانت النبرة رقيقة ، مغرية ، فجاء رد الفعل لها سهلا :

- "بسبب الرهن" .

ونظر لرقيقة الألومنيوم الفارغة في يده مستغرقا في التفكير ، ثم أخذ يطويها على هيئة كرة وهو يقول :

- "لقد كنت أظن أن مكانا بهذا القدم قد تخلص من رهنه منذ وقت طويل" .

- "لقد تم ذلك بالنسبة للرهن الأول. ولكن حين قدمنا أنا و"كاليب" لنعيش معه، قام جدي بإبرام رهن آخر ليتمكن من الإنفاق على تعليمنا الجامعي" . وعاد شعور الذنب يجتاح نفسها وهي تقص عليه هذه القصة .

- "ثم ؟"

وهزت كتفيها :

- "ذهبنا للكلية . واستمر "كاليب" في انطلاقه ، وعدت أنا" .

وأعجبه وقع كلماتها على نفسه ، والطريقة التي قالتها بها . في كلمة واحدة أحس بكل مشاعرها ، وأدرك كل قيمها ، فازدادت منه قربا. إن رباطا قويا يربط بينهما الآن ، وإن كانت لاتدري ماهو .

- "وماذا حدث بعد ذلك ؟"

وبدأت الدموع تتجمع في عينيها ، كما يحدث كلما تذكرت القصة .

- "وبعد ذلك اضطررنا لإطلاق الرصاص على "سيووتر" أفضل ما كان في مزرعة جدي من الجياد .. إذ كسرت ساقه ، وأصبح لا أمل في شفائه" . وعاد حلقها جافا ، فأخذت نفسا عميقا ، ثم أخرجته ببطء وهي تحملق أمامها مباشرة ، وغدت الطيور بقعة داكنة في السماء .

- "وسارت كل الأمور سيرا سيئا بعد ذلك ، واضطر جدي لبيع أجزاء من المزرعة ، إلى أن كانت حادثته في المهرجان منذ ثلاث سنوات" .

وأغمضت عينيها بشدة ، وهي ترى ماحدث أمام عينيها مرة أخرى ، وشعرت بيد "جابرييل" تلمس يدها ، وأدركت أنها تضم يدها ففتحت عينيها ، وأخذت تفرد أصابعها واحدا بعد واحدا ، ولكن لاتبعدها عن يد "جابرييل" ، فهي محتاجة للمسته ، تستمد منها قوة يخيل إليها أنها تنبع منه لتسري في جسدها .

- "كان سباقا ، وكان جدي فوق صهوة جواده ، يحاول أن يثبت مقدرته على ترويض الجياد الشرسة . وفي لحظة ، كان طائرا في

الهواء" . ودق قلبها بعنف وهي تتكلم " ثم هوى على الأرض كدمية عاجزة . دمية مكسورة وعاجزة . وبعد ذلك كان عشرات من الأطباء ، وعلاج طبيعي ، وفحوص أشعة لانهاية لها، وأكوام من الفواتير وتقلصت المزرعة أكثر" .

وشدت كتفيها ، وكأنما تواجه كل ذلك مرة أخرى :

- "وكان الأطباء غاية في العطف ، ولكنهم أجمعوا على كلمة واحدة . إنه لن يقف على قدميه مرة أخرى أبدا" . ونظرت في عيني "جابرييل" وعلمت دون أن يخبرها أحد أنه متفهم لما هي فيه من كرب :

- "إن السقطة لم تقتله ، ولكن الشلل يكاد يفعل له ذلك" ولعقت شفتها السفلى :

- "ورغم ذلك ، فقد تحمل لأني أردت ذلك . لم أسمح له بأن يموت" .

وهز "جابرييل" رأسه . إنه يعرف قوة التفكير الإيجابي . لقد ساعده ذلك يوما ما ، يوم لم يكن أمامه سوى الفراغ ، وبفضله لم يستسلم .

- "وقرر جدي أن يواصل ، من أجلي ، وأيضا ، لأنه يؤمن بأن معجزة سترسل معونة باسمه من مكان ما" .

وتوقفت فجأة ، وضحكت ضحكة جافة . كيف انساقت في إخباره بكل ذلك ، بينما لم تحصل منه حتى على ماكان يفور داخل القارورة .

- "ربما يحدث ذلك" . وكان ثمة شيء في صوته يدفعها للاعتقاد ، والتعلق بذلك الأمل . وقالت :

- "بودي لو أعتقد في ذلك" .

وترك الورقة المعدنية تسقط في السلة ، وأغلق غطاءها ، ونظر في عينيها :

- "إذن ، اعتقدي بذلك ، فالمعجزات لاتأتي إلا لمن يؤمن بها" .

اجعلني أؤمن يا"جابرييل" ! إنني في حاجة للإيمان .

- "إنك تبدو كما لو كنت مجربا" .

- "إلى حد ما" .

وفتحت فمها لتقول شيئا آخر ، ولكنه نزل فجأة من السيارة .

- "من الأفضل أن أعود لعملي ، فهناك قائم آخر علي أن أثبته . شكرا لإحضارك الغداء لي" .

وحملقت إليه ، تفكر في كلماته الأخيرة . هل سيجيب عن أسئلتها يوما ما ؟

لقد بدات تشك في ذلك . ولكن لم يغير من رد فعلها إزاءه . فادارت محرك سيارتها :

- "لاشكر على واجب يا"جابرييل" . أراك على العشاء" .

والتفت لها لدقيقة :

- "ساكون هناك" .

وقطعت "جاكي" طريق العودة إلى المنزل وهي تغني .

الفصل السادس

اسرعت "جاكي" للمطبخ ، متاخرة نصف ساعة عن برنامجها . وبدالها انها قد اصبحت دائمة التاخر عن برنامجها في الآونة الاخيرة، حتى مع مساعدة "جابرييل" . إنها تلوم نفسها أن قضت كل هذه الفترة عصر ذلك اليوم تروض الجياد . وقبلها هذه الرحلة لغداء "جابرييل" التي رفعت من معنوياتها ، ولكن عليها الآن أن تتحمل التبعة . ونظرت لساعة المطبخ ، ونزعت عنها معطفها والقته بلا عناية على احد الكراسي ، ومدت يدها تتناول مريلة جدتها ، وتفتح بالأخرى باب الثلاجة في نفس الوقت .

ومررت راسها من حمالة المريلة ، ثم حررت شعرها . وطاف بها خاطر سوداوي : اتراها تبذل كل ذلك الجهد من اجل باخرة غارقة لامحالة ؟ هل سياتي البنك أول العام ليضع يده على الضيعة ؟ وأرادت ان تصرخ ، لا ولكن واقعيتها تمنعها من الإسراف في التفاؤل . واجتاحها شعور من الرعب .

سياخذ البنك الضيعة !!

لا !

وهوت بوعاء ضخم من الحديد الزهر على منضدة المطبخ ، وذعرت إذ سمعت صوت تشقق مع تلاقي الوعاء بها . فرفعت الوعاء ونظرت اسفله لتجد بلاطة سرى بها التشقق خطا رفيعا متعرجا . وفكرت ان تجهش بالبكاء ، ولكنها تدرك عدم جدوى ذلك بالنسبة للبلاطة المكسورة . فمسحت دمعة حارة بظهر يدها ، ومنعت البقية من ان تتكون .

لعنة الله على "كاليب" و"حسه الاقتصادي" . لعنة الله عليه لكونه بلا قلب . لوقدم يد المساعدة ، لو ادى بعضا مما انفقه جده عليه ، لتحسنت الاحوال . لو اعطيت فرصة للربيع ، إلى ان تلد الافراس ويباع نتاجها ؟ قليل من الوقت ، وقليل من الحظ ، وكثير من النقود ، هذا هو ماتحتاج إليه . واخذت تبحث عن بعض الجزر في قاع الثلاجة وهي تفكر :

وكل هذا بالضبط ، مالا تملك منه شيئا .

ودخل "سويتهارت" يتشمم ، بينما "چاكي" قابعة على الأرض تبحث في درج الخضراوات . ونظر إليها باهتمام .

- "ابتعد عن طريقي ايها الكلب ، إنني متاخرة عن برنامجي" .

وجذبت كيسا ممتلئا لنصفه بالجزر " وهبت واقفة ، وغمغمت :

- "وما الجديد في ذلك ؟"

- "الم تجديه ؟"

واستدارت بسرعة ، ويدها على صدرها . لقد ارعبها جدها هذه المرة . لقد صار اكثر عصبية . إن موقف المزرعة يؤثر فيه بلاشك .

- "ماذا ؟!"

ومال "مالكوم" برأسه لليمين ، يتفحصها :

- "جابرييل" . اخر مرة رايتك فيها ، كنت تسرعين له بالغداء ، الم تجديه ؟"

والقت بالجزر في ماء الحوض بغيظ ، ثم اخرجت واحدة واخذت في تقشيرها .

- "بلى ، لقد وجدته . لماذا ؟" .

- "إن طريقتك في قرع تلك الأواني" واشار بإصبعه إلى الوعاء الموضوع على المنضدة "جعلتني اتصور انك وجدته قد فر هاربا بالجياد ، او انه متزوج بثلاث نساء بفعة واحدة" .

وحاولت "چاكي" الا تبدو مذنبة بالنسبة للوعاء . وتناولت لوحة تقطيع الخضراوات المعلقة بجوار الحوض ، وشرعت في التقطيع بصورة آلية :

- "الجياد مكانها بالضبط . وماذا يهمني إن كان متزوجا ثلاثين امراة ، مادام يقوم بعمله على مايرام ؟" . وهوت بالسكين بسرعة ، فكادت تقطع اصبعها .

وابتلعت كلمة سباب . رويدا "چاكي" الافضل ان تقدمي العشاء متاخرا ، عن ان ينتهي الأمر بك بتسع اصابع .

ولم تتركها عينا "مالكوم" لحظة . ومد يده لجزرة وشطرها نصفين ، ومنح "سويتهارت" نصفا منهما :

- "إن ساقي هما الكليلتان يافتاة ، وليستا عيني"

- "إنك تستعمل نظارات"

ورفع الكلب راسه ينظر ماقد يروق له فوق المنضدة . فحملقت إليه "چاكي" ، وتابعت عملها واخذ "مالكوم" قطعة اخرى من الجزر قبل ان تضعه "چاكي" في الوعاء الموضوع فوق الموقد .

- "إنها للقراءة ، وليست للرؤية"

- "ربما يلزم واحدة لهذا ايضا" إنها لاتريد ان ينساق جدها وراء اماله . لقد كان امام "جابرييل" وقت كاف ليقبلها لو اراد ، ولكنه لم يفعل ، وربما لاتروق له ، او انه غير مهتم بها .

ولكن ، إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا كان ينظر إليها بهذه الصورة ؟ إنها تكاد تقسم إنها رات الاهتمام في عينيه ، بل والرغبة ايضا ، ولكن يبدو انه لم يسمح لنفسه ان يستجيب لرغبته ،كما لو كان قد اخذ على نفسه قسما أن يبتعد عن النساء . ولكن هذا هراء .فلا يفعل ذلك سوى الرهبان . ولو كان راهبا لاخبرها .

- "اتريدين ان تقولي لي إنك لست مبالة له ؟"

وكانت اخر جزرة لاتزال في يدها ، فالتفتت إليه ، ولوحت بها في

وجهه تاكيدا لكلامها ، و"سويتهارت" يتطلع لها متحينا فرصة . وفكرت كيف يلتهم هذا الكلب أي شيء .

- "ماقوله لك إنه إلى أن تحدث المعجزة ويفك رهن الضيعة ، ليس لدي وقت للتفكير في أي شيء آخر" .

وكان هذا كذبا منها . لقد كانت تفكر في "جابرييل" . ربما كانت هذه هي المشكلة ، ربما لهذا السبب لاتستطيع ان تركز تفكيرها في وسيلة لدفع القسط الثاني . لابد أن هناك وسيلة ما ، ولكنها لاتراها . إن ذهنها مشغول للغاية ، ولكن ، سحقا ، إنه غاية في الجانبية .

ولم يستطع "مالكوم" أن يقاوم لون الثمرة البرتقالي أكثر من ذلك فمد يده وأخذ الجزرة وقضم منها قضمة كبيرة ، وأخذ في مضغها ، وعيناه الصغيرتان العسليتان لاتزالان معلقتين بـ"چاكي" وقال :

-"طعام مغذ للجياد" .

- "نعم ، ولدينا الكثير منه كل يوم" . وتناولت بضع ثمرات البطاطس وأخذت تقشرها ببطء . ثم التفتت ودفعت بها مع السكين لجدها :

- "إنك أمهر مني في هذا ، هيا للعمل" .

ورأى "مالكوم" أنه من المناسب تغيير الموضوع . فأخذ الثمرات وأخذ في تقشيرها بعناية فائقة ، أفضل من حفيدته . وقال :

- "بمناسبة العشاء ،ماذا تزمعين تقديمه اليوم" .

وصبت "چاكي" الماء في الوعاء ، ووضعته على الموقد ، وبحركة سريعة بدت الشعلة الزرقاء تشع بالحرارة .

- "بعضا من اللحم المتبقي من وجبة البارحة مع بطاطس وجزر طازجين . وإياك أن تتبرم بالنسبة للحم المتبقي" .

وجذبت وعاء اللحم من الثلاجة ، وأغلقتها بكتفها . وقالت :

- "وانت أيضا يمكنك أن تطهو" .

- "أرانب محمرة ؟" وتنهدت :

- "أي شيء" .

ورد ضاحكا :

- "ولكني أسهم في هذه الوجبة بالفعل" .

- "بتقشير أربع ثمرات من البطاطس ؟" ووضعت الثمرات في القدر مع الجزر .

- "بل أربع ونصف . ولكني كنت اقصد هذه" . وأخرج قارورة من الشراب من الكيس المعلق بكرسيه . إن هذا الصنف هو شراب جدها المفضل .

- "لقد وجدتها وانا انظف بندقيتي ، ولاأدري من الذي وضعها في خزانة الأسلحة" . ونظرت للقارورة وهي تقلب اللحم :

- "أنا اعرف" .

- "كذا؟"

ووضعت المغرفة جانبا ووضعت ثلاث صحاف على المائدة :

- "إن "ماريا" كانت تحب أن تتناول شيئا اثناء اليوم . وربما نسيتها هناك" . ولفظت باسم المرأة بشوق .

كانت "ماريا" مديرة المنزل إلى أن قرر زوجها الرحيل . وكان زوجها هو العامل قبل الأخير الذي يغادر المزرعة ، ولم يكن بالخسارة الكبيرة. أما "ماريا" فقد كانت كنزا .

ومال "مالكوم" ليضع القارورة على المنضدة وهو يقول :

- "خسارتها ، مكسب لنا" .

ولكنه لم يستطع إلا أن يضعها على حافة المنضدة ، إذ لم يستطع أن يمد يده لوسطها .

- "حركيها إلى وسط المنضدة يا"چاكي" لو سمحت" .

- "بالتاكيد" ومسحت يدها في المريلة ، وحركت الزجاجة"

- "ترى بماذا نحتفل؟"

واتجه "مالكوم" للخزانة وأخرج بعض الفضيات ودفع الكرسي بيده الحرة عائدا للمنضدة وانتحت "چاكي" جانبا بعد أن وضعت ثلاث كؤوس .

- "نحتفل بحلول أسبوع جديد ، وبوجود "جابرييل" معنا" . وطوى المفارش بعناية ، وبالطريقة التي تعلمها من زوجته .

وامتلأ قلب "چاكي" بالحبور لنظرة الأمل في عيني جدها ، عالمة أن الفضل في ذلك يرجع إلى "جابرييل" .

- "إنك بالتاكيد تحمل له تقديرا عاليا" .

وانحنى ليربت راس "سويتهارت" فزام الكلب مسرورا .

- "لايستغرق الأمر طويلا ليعرف المرء الغث من السمين . ولقد أخذت انطباعا حسنا عنه" . وهزت راسها :

- "وانا ايضا" . وضحك "مالكوم" :

- "أعلم ذلك" .

لم يكد العشاء يوضع على المائدة ، حتى فتح الباب الخارجي ، ثم اغلق . واخذت "چاكي" نفسا بحدة ، فانفجر "مالكوم" ضاحكا يضرب مسند كرسيه قائلا :

- "لقد علمت ذلك !"

ولم تكن تعرف انه يراقبها ، فسالته بصوت منخفض :

- "علمت ماذا ؟" لقد كان على وشك ان يقول شيئا يحرجها ، ولم تكن تود ان تطول محادثتهما .

- "لقد اشرق وجهك كشجرة عيد الميلاد حين سمعته قادما" ونظر في عينيها يتحداها ان تنكر .

- "لقد كنت مشغولا بإعداد الشراب" .

والتفتت للباب ، وتجمدت ابتسامتها حين رات الداخل . كان اقصر من "جابرييل" واثقل وزنا ، واما عمره فاكبر بكثير .

وجال الرجل ببصره في المائدة المعدة ، ثم ضحك ضحكة ودود :

- "حسنا ، لقد كان وقت هذه الزيارة جيدا" . ونظر لـ"چاكي" نظرة امل .

واجبرت "چاكي" ابتسامتها ان تظل مكانها وهي تجاهد لكي تخفي خيبة املها .

- "تفضل يا "فرانك" .

وهز الرجل ذو الشعر الأصفر راسه شاكرا ، وتصاعدت ابتسامته الصافية لعينيه :

- "لقد وددت ان تقولي ذلك" .

كان "فرانك مورجان" جارا لهم ، وليس من السهل العثور على من هو اطيب منه قلبا . وكان قد ساعدهما كثيرا في اوقات الشدة ، بدون ان

ينتظر ردا على معروفه سوى صداقتهما ، ثم شيئا فشيئا ، وهو ماادركته "چاكي" باسى متزايد، اصبح يريدها .

وخطت للخلف مبتعدة عن المائدة فاصطدمت بـ"جابرييل" ، وشهقت حين احاطت بها ذراعاه ، وامسك بالقدر قبل ان يسقط من يدها . واطلقت "چاكي" نفسها ببطء ، ولكن قلبها ظل يخفق بعنف . ونظرت للقدر ، وتوردت وجنتاها وهمست :

- "شكرا" .

وانزل يديه ، ولمح الأسف في عينيها لذلك .

- "لم ارد ان افزعك" .

ووضعت "چاكي" القدر على المائدة :

- "إنك تسير بكل هدوء رغم طولك" .

- "إن هذا ياتي بصورة طبيعية" .

وسال "فرانك" بود :

- "عامل جديد يا "مالكوم" ؟" وإن كان قد بدا مهتما بشرائح لحم "چاكي" اكثر من الأجير الجديد .

وشعرت "چاكي" بالذنب لعدم ترحابها بالضيف ، فتناولت طبقا وادوات مائدة وضعتها امامه . وقام "مالكوم" بالتعارف .

- "جابرييل" الملقب بالطيب - "فرانك مورجان" "ولاحظت "چاكي" انه اعطى الأسبقية لـ"جابرييل" ، رغم مايحمله تجاه جاره من حب ، واسعدها ذلك .

وهز "جابرييل" راسه بالتحية ، ثم نظر لـ"چاكي" :

- "إذا كان لديكم ضيوف ، فيمكنني..."

وتراجع نحو الباب

اوه ، لا ، لاتفعل . وامسكت بذراعه بقوة :

- "اجلس قبل ان يبرد الطعام . لقد اعد جدي شرابا ينسيك ان اللحم باق من امس . "قربت القنينة منه .

ووجه إليها "جابرييل" ابتسامة عذبة ، مقررا انه من سوء الأدب ان يذكر لها انه لا يشرب الخمر . وجلس بجوار "مالكوم" ، مواجها لـ"چاكي" وجلس "فرانك" بجوارها .

وحاولت "چاكي" ان تتجاهل طريقة نظر "فرانك" لها طوال تناول الطعام ، وبذلت كل جهدها لتجعل الحديث متصلا . فكل صمت مصحوب بنظراته المتشوقة ، كان يسبب عدم ارتياحها .

وبدا واضحا لـ"جابرييل" ان "فرانك" غير مكتف بمجرد جلوسه إلى جوار "چاكي" كما كان واضحا له بنفس الدرجة انها -من طريقة جلوسها واسلوب ردها على اسئلته - لاترحب بهذا الاهتمام منه لها . وزادته هذه الفكرة املا . لقد كان يستهويه دائما ان يرى الأمل يتفتق من خلال الياس ، وينمو باقل قدر من التغذية .

- "اتمنى الا تكون هذه الزيارات المفاجئة مني تسبب لك الضيق يا"مالكوم" . فانا كثيرا ما اجد نفسي وحيدا ، مع كل مافي مكان معيشتي من نشاط . ومحتاج لصحبة طيبة" . ولكن عينيه كانتا موجهتين لـ"چاكي" التي ردت عليه :

- "إنك تعلم انك موضع ترحيب على الدوام يا"فرانك" .

إنها لم تكن تريد ان تشجعه ، كما لم ترد ان تبدو غير ودود تجاهه . كان "فرانك" ارملا ، وكان قد اظهر رغبته كاوضح مايمكن . وبإيماءة من راسها يمكن ان يكون الخاتم في إصبعها ، والأكثر من ذلك ، كان سيتم إنقاذ "لوس كابالوس" على الفور . فهو كريم ميسور الحال ، وهي تعلم انه يهتم بامرهما غاية الاهتمام .

ورفعت نظرها لـ"جابرييل" الذي كان قد اختار هذه اللحظة بالذات ليرفع نظره لها ، وتلاقت العيون ، وسرت في بدنها رجفة حادة . كيف يفعل ذلك ؟ بدون كلمة ، او إشارة، او اي وعد منه ، كان الرجل يذيبها، يثير في نفسها الشوق ، ويجعلها تنسى كل شيء عداه وعاود فرانك الحديث :

- "إن لدي سببا في الواقع لهذه الزيارة. اعلم ان الوقت لايزال مبكرا، ولكني جئت ادعو كما إلى حفلة راس السنة التي ساقيمها ، فمن الواضح انكما محتاجان لشيء من المتعة" .

وكان يضحك لنفسه وهو يتكلم . إنه عالم بإدراك الجميع لنيته إزاء "چاكي" ، ولم يكن ذلك من شانه ان يسبب له الحرج .

اما "چاكي" فقد استمعت إليه بذهن مشغول . فلو قبلت ، فعليه الا

يسيء فهم معنى قبولها . ونهضت وصبت لنفسها كاسا . وكانت الثانية لها ، وكانت قطعة اللحم في طبقها سليمة لم تمس :

- "حسنا يا"فرانك" هل تشمل دعوتك "جابرييل" ايضا ؟"

واضح انها لم تكن كذلك ، ولكن "فرانك" استدرك الأمر جيدا . وراقب "مالكوم" المباراة التي تجري امامه مستمتعا ، ولاحظ ان ملامح "جابرييل" لم تتغير ادنى تغيير .

والتفت "فرانك" لـ"جابرييل" بالتاكيد واشرق وجهه بابتسامة حقيقية:

- "لم اقصد انك غير مدعو ، فمرحبا بك لو كنت موجودا وقتها" .

واراد "جابرييل" الإجابة ، ولكن "چاكي" تولت ذلك عنه :

- "سيكون موجودا" . وقدمت القارورة لـ"فرانك" الذي قدم لها كاسه لتعيد ملئها . ولكن حينما قدمتها لـ"جابرييل" ، هز راسه وكان قد رفض الشراب حينما قدمت له اول مرة ، وتساءلت "چاكي" عن السبب . من النادر ان يوجد راعي بقر لايتناول الشراب ، ولو بقدر قليل ، وبعد العشاء ادنى "مالكوم" "فرانك" منه ، وقال وقد بدا الجد على وجهه :

- "اريد ان اتحدث معك عن بعض الأمور المتعلقة بـ"ثندر بولت" . فرد "فرانك" بقلق :

-"هل هناك مايسوء بالنسبة لذلك الجواد الاصيل الذي بعتك إياه ؟"

- "حسنا ، ليس مايسوء ، ولكنه لايتصرف كجواد اصيل بالنسبة للجياد ، إذا كنت تفهم ماأقصد" . ووجه نظره لـ"جابرييل" . واحست "چاكي" بانها مشرفة على الموت ، ولكن اراح نفسها ان "جابرييل" بدا وكانه لم يلحظ شيئا .

واستطرد الرجل العجوز :

- "هيا نناقش الأمر في غرفة المكتب مع القهوة والسيجار ولم يلحظ ابتسامته الخفية سوى "چاكي" . هذا العجوز الوغد ! كان "ثندر بولت" قد جاء من إسطبلات "فرانك" في اغسطس السابق ، وقد باعه لهما "فرانك" بثمن غاية في الكرم ، جاعلا ذلك بداية لطلب يد "چاكي" .

وكان "فرانك" يود ان يظل بصحبة "چاكي" ، ولكن لم يكن من الذوق ان يرفض دعوة الرجل العجوز لتناول القهوة والسيجار في غرفة مكتبه.

وابتسمت "چاكي" لجدها . إن غيره في مثل ظروفه ، كان سيحثها على قبول عرضه على الفور . فالرجل عطوف كريم ، ولن يتاخر عن إخراج اسرته الجديدة من ورطتها المالية . وهذا سبب وجيه لقبول عرض بالزواج . وسبب كئيب في نفس الوقت .

وكان "جابرييل" بالقرب من مرفقها :

- "هل تريدين مساعدة ؟"

وغمغمت اكثر مما تتصور" ثم انتبهت لما قاله ، واحست بالارتباك ، شعور لم يعد مستغربا بالقرب من "جابرييل" في تلك الأيام . وقالت لنفسها :

- "اه ، الأطباق"

- "إذا كانت هي ماتحتاجين المساعدة فيها" .

وابتسمت في اسى ، يالها من طريقة غريبة ليصوغ لها عرضه . واعطته الكؤوس لينقلها للحوض :

- "يالك من رجل غريب الأطوار يا"جابرييل" ."

ورد وهو يضع الكؤوس في الحوض :

- "لقد قيل لي ذلك من قبل" .

وحملقت إليه بينما هي تغطي ما تبقى من لحم بلفافة من البلاستيك :

- "لست ادري إن كنا نتحدث عن نفس الشيء ، أم أن هناك معنى مستترا وراء كلماتك" .

وضحك وهو يتناول القدر من يدها :

- "إنك تبالغين في فهم الكلمات"وانحني يجهز مكانا للقدر داخل الثلاجة ، ووضعه فيه ثم ترك الباب يغلق ذاتيا ، واتجه لـ"چاكي" :

- "إن "فرانك" يبدو رجلا لطيفا" .

ولم تكن تريد الحديث عن "فرانك" . بل لم تكن تريد الحديث على الإطلاق . وغمغمت :

- "لطيف بما فيه الكفاية" .

واخذ "جابرييل" ينظف المنضدة :

- "ومهتم بك" .

وتناولت منه الأطباق ، ووضعتها في الحوض ، وصبت عليها الماء ، ثم اضافت مسحوق التنظيف فاخذت الفقاقيع تتصاعد :

- "نعم ، إنه كذلك" .

ووقف مستنداً إلى الطاولة ، واضعا يديه على صدره ، يراقب تعبيرات وجهها وهو يتكلم :

- "اعتقد ان هذه وسيلة للخروج من المشكلة" .

هل هو مهتم بها ؟ وشعرت بوخزة وهي تفكر في الأمر ، ووجدت نفسها تتكلم بفظاظة :

- "ربما لشخص آخر غيري، فلست بائعة جسدي لإنقاذ المزرعة . ربما اكون بذلك انانية او من طراز قديم من الناس ، ولكني لن افعل" .

ورغم ان الفكرة قد جالت بخاطرها مرارا وهي في لحظات يأسها ، إلا انه قد المها ان تسمعها من "جابرييل" :

- "لست قطعة اثاث تستخدم للمقايضة" .

ورد عليها بعذوبة :

- "لا ، لست كذلك" .

لا ، لم يكن غير مهتم بها ، ولكنه كان يختبرها ، وهدأت نفسها لذلك، فاقتربت منه شاعرة بالحاجة لقربه :

- "ومن اكون؟" .

وتمنى لو لم تفعل ذلك . ان تقف هكذا مثيرة للرغبة . فإن هذا يجعله راغبا فيها ، بل إنه راغب فيها ، رغبة تثير الألم في نفسه .

ونظرت في عينيه الغائمتين بالزرقة ، وبدأت النار تتاجج بداخلها . لقد خلق الشراب طنينا مستمرا ودفئا داخل عروقها . واحست بعدم رغبتها في التصرف بحكمة . فالتفتت إليه ، ومدت يديها لوجهه ، ورفعت نفسها على اصابع قدميها ، لتكون شفتاها في مستوى فمه . وهمس :

- "إنك جميلة" . واخذها بين ذراعيه ، يريد أن يحس بها وهو يلثم ثغرها ، مستجيبا لرغبة يحسب عمرها بالقرون .

ولم تاسف لذلك . ربما فزعت شيئا ما لقوة مشاعرها تجاهه ، وللسهولة التي قبلت بها رجلا غامضا غريبا عنها ظهر في حياتها

على صورة ملاك . ملاك ! واحست بضحكة تتردد بداخلها . لا ، لامجال للاسف إطلاقا لتقبيل ملاك .

وشعر بابتسامتها تتشكل تحت شفتيه ، تزيد من حمية رغبته ، وتدق له اجراس الخطر . لقد كان في قبلتها كل ما يتخيله : الحلاوة ، والرقة مذاق لم يعرف له مثيلا ، لقد كانت تجمع كل الانوثة ، وهي بين ذراعيه .

واجبر نفسه على ان يكون رقيقا ، رغم رغبته في ان يضمها إليه بكل مايملك من قوة :

وذكر نفسه : "إنك لست حرا لان تفعل ذلك فهي لاتعرف" . وبذل جهدا ليتراجع عنها :

- "إني اسف" .

ولم تكن تريده ان يبتعد عنها ، ليس الآن ، ربما على الإطلاق :

- "وانا لا !"

وشعر بضغط دمه يرتفع مرة اخرى :

- "لقد مر عليّ وقت طويل بدون ان اقبل فيه فتاة" .

- "ولكنك لم تنس" لقد كان اثر العاطفة هو الذي يتكلم ، فهي تعلم انها لايمكن ان تقول ذلك له .

وضحك "جابرييل" وهو يمسح شعرها بيده ، ثم اخذ خدها في يده ، وعندئذ قامت البسمة على شفتيه ، واجتاحته موجة من الرغبة . فقرب شفتيه لها ، بعنف هذه المرة .

وشعرت بنفسها طافية ، والمكان يدور بها . واغمضت عينيها ، ثم فتحتهما ، ولكن المكان ظل مظلما . فحبست انفاسها وهي تسال :

- "ماذا حدث ؟"

وتلفت "جابرييل" في المكان :

- "اعتقد ان مفتاحا قد احترق" .

وغمغمت ، اسفة لهذه المقاطعة :

- "هذا اقل مايتوقع" . وسالها وهو يرسلها :

- "اين صندوق المفاتيح لديكم ؟"

وسمعت جدها ينادي من غرفة المكتب :

- "جاكي" فردت عليه :

- "إنه احد المفاتيح ياجدي" . واخذت لحظات لتستعيد توازنها ، واكملت :

- "إن "جابرييل" سيهتم بالامر" واضافت في سرها : كما يهتم بكل الامور الأخرى !

واخذت كشافا ، واتجها معا إلى الشرفة ، حيث يوجد صندوق المفاتيح . وبعد عدة محاولات ، اصلح "جابرييل" المفتاح المحترق .

يالها من طريقة لإنهاء قبلة ! واتكات على درابزين الشرفة ، لاتقدر ان تبعد عينيها عنه وفرك "جابرييل" يديه :

- "الافضل ان امضي ، إن لديكما ضيفا" .

- "فرانك" ليس بالضيف . إنه طالب يد دائم" .

وفكر "جابرييل" فيما مر بينهما من لحظات ، مدركا ان الامر قد حدث مبكرا جدا عن اوانه ، حتى ولو لم يكن في استطاعته ان يقاومه .

- "ومع ذلك ، فمن الافضل ان انصرف ، شكرا على العشاء يا"جاكي" .

وهزت راسها في صمت ، وراقبته وهو يمضي ، تمرر يديها على ذراعيها الباردتين وشعرت فجاة بالحرمان . هل اصابها هذا الإحساس بالحماقة ؟ لا ، لامجال للاسف ، لقد ارادت ان تعرف كيف يكون الشعور مع قبلته ، ولقد عرفت . شعور رائع ، كمذاق الشهد . واتركت انها سترغب في المزيد من ذلك .

إن العالم ينهار تحت قدميها ، وهي مشغولة بالوقوع في الحب .

وهزت راسها . غدا ، وعندما يصفو ذهنها ، ستواجه نفسها بالامر بجدية . ورفعت بصرها إلى السماء المليئة بالنجوم ، وشعرت بلفح الهواء البارد .

إن الارض تفقد دفئها بسرعة مع غياب الشمس ، وسيكون الليل قارس البرد.

وسيحتاج لغطاء إضافي . والهبت فكرة الذهاب إليه حماسها . فهرعت إلى الغرفة الخلفية واخذت بطانية ، ومرت في طريق عودتها بجدها و"فرانك" . وسالها "مالكوم" :

- "فيم العجلة ؟"

واشارت للبطانية على ذراعها:

- "إنه سيقاسي البرد".

ونهض "فرانك" قائلا:

- "لماذا لاتدعونني أنا .." فقاطعه "مالكوم"

- "أعتقد أني في حاجة لمزيد من الشراب". وتوقف "فرانك"، ثم أخذ يملأ كاس مضيفه، متنهدا وهو يراقب "چاكي" تختفي من امام عينيه.

ولم يكن "جابرييل" في المنزل الملحق. لم يكن هناك ضوء في المبنى، وتملكها الذعر ليس من أجل نفسها. إذ لو قرر "جابرييل" أن يختفي بنفس الصورة الغامضة التي ظهر بها لأصبحت الضيعة في ورطة.

هل أخافته هي؟

ورفعت بصرها للقمر الساطع. لماذا تندفع دائما وراء رغباتها. إن كبح الجماح كلمة غريبة عنها. كلمة يجب عليها أن تتعودها، لو كانت هناك فرصة ثانية لها.

ثم سمعت صوته. كان آتيا من الحظيرة، خلف الإسطبل. كان كمن يتكلم مع شخص ما.

وعادت ببصرها للمنزل. كان جدها و"فرانك" لايزالان هناك. فمن الذي يحادثه "جابرييل"؟ وتسللت في صمت، متخفية بالظلال.

كان "جابرييل"، بجسده يسطع تحت ضوء القمر، متكئا على السور. ولم يكن امامه أحد في المنطقة.

- "حسنا هانحن يارئيس قد شققنا طريقا للعمل، أليس كذلك؛ إن الأمر يتطلب أكثر من إصلاح السور لإصلاح حال هذا المكان". وتوقف، كما لو كان يستمع لحديث محدثه، ثم استطرد:

- "ولكنها أول فرصة لي منذ وقت طويل. ولست أريد أن أولي ظهري لحظي، أو لها بمعنى أصح".

وبعد فترة صمت أخرى:

- "نعم أعرف أنه ليس لي أن أتمادى في علاقتي بها. فهي لاتعرف من أنا ولا ماذا أكون، ومع ذلك ..." وتخاذل صوته.

وتسمرت "چاكي" مكانها. ماالذي يقصده بعبارة من أنا أو ماذا أكون؟. فماذا يكون هو بالضبط؟واحست برأسها يدور بفعل الشراب،

وتعذر عليها أن تفكر تفكيرا سليما. فقد قفزت كلمة ملاك إلى ذهنها مرة أخرى. ملاك؟!

رباه، لقد تملكها الدوار: لعله الإجهاد أو لعلها قبلته التي أطارت مافي عقلها من منطق.

ملاك؟ ماذا لو ..؟

الم تقل هي إنه كان استجابة لدعواتها؟ الم يظهر لها في الإرسالية، وهي في حضيض يأسها، تصلي من أجل المساعدة؟ ماذا لو كان ..؟

لا، مستحيل. لقد قبلته. والملائكة لاتتبادل القبل. إن الملائكة لاتهبط على الأرض في جينز وقبعات رعاة البقر. إنهم ..

وانى لها أن تعرف ماذا تفعل الملائكة، وماذا لاتفعل؟ أو حتى إن كان لهم وجود؟

وتذكرت الفيلم الذي شاهدته مع جدها ليلة أن قدم "جابرييل". في كل مرة تدير رأسها في اتجاه ما، كان موضوع الملائكة يثور أمامها بصورة أو بأخرى، لايغيب عن عينيها.

كما أن "جابرييل" يتفوه بعبارات غاية في الغموض .. ماذا لو ..؟ ياإلهي الرحيم، ماذا لو ..؟

وشعرت ببرودة في يديها، وسقطت منها البطانية على الأرض.

* * *

الفصل السابع

التفت "جابرييل" ببطء بعد أن سمع شهقة جذبت انتباهه . ودهش أن وجد "چاكي" واقفة هناك ، وقد بدا على وجهها الشحوب . وبدت مرعوبة .

- "چاكي؟"

هل عرفت شيئا عنه ؟ قفز التساؤل إلى ذهنه مسببا له القلق . هل استطاعت بصورة ما أن تكتشف الحقيقة ؟

لا . هذا كلام سخيف . ليس ثمة وسيلة لها لأن تعرف حقيقته . ولكن ثمة شيء ماأرعبها . وتطلع "جابرييل" ببصره في المنطقة ، وكان كل شيء على مايرام ، سابحا في ضوء القمر . لم يكن هناك مايبين سبب وقوفها مذعورة بتلك الصورة.

- "ماذا هناك ؟"

واتجه إليها بسرعة ، ووضع يديه على ذراعيها . وقد اشرفت على الإغماء . لقد تصلب جسدها تحت يديه ، على نقيض ماكانت منذ لحظات مضت وهي بين ذراعيه .

هل عرفت شيئا ؟ لم يكن واثقا من . إنه لايريدها أن تعرف شيئا ، إلى أن يبذل من الجهد أكثر . بعد ذلك ، قد تتقبل الحقيقة .

وقالت "چاكي" لنفسها : إنها كانت مجنونة . في منتهى الجنون ، إذ أخذتها تخيلاتها إلى هذه الدرجة . لقد كان هذا نتيجة تراكم الإجهاد عليها طوال العام السابق . الإجهاد ، و"جابرييل" . إنه ليس ملاكا أكثر منها هي . إن ملمسه ملمس رجل ، ولمسته لمسة رجل . أيمكن أن تشعر بماتشعر به من هذه العاطفة الجياشة المفاجئة ، تجاه ملاك ؟ لا بحق السماء .

وجاهدت أن تزيح عنها شكوكها عديمة الأساس . وراحت تشرح له ، وقد علتها ابتسامة مرتبكة :

- "إنني أحس ببعض الدوار قليلا . إنني غير معتادة كثرة الإجهاد".

ونظرت إلى موضع قدميها ، فرأت البطانية ، وشعرت بشيء من الغباء للطريقة التي فكرت بها . لا ، بل بكثير من الغباء .

- "لقد خشيت أن تشعر بالبرد ، فالليل ينذر بأن يكون قارس البرد فاحضرت لك هذه ولم يكن الكلام يخرج سلسا كعادتها . كانت تبحث عن الكلمات المناسبة . إنها تريد أن تكون هنا ، بجواره ، ومع ذلك ، فقد كانت شاعرة بالارتباك .

"الأعصاب يا "چاك" . المسألة كلها مسألة أعصاب".

وانحنى "جابرييل" والتقط الغطاء ، وأخذ ينفض ماعلق به ، فتطايرت بعض الأوراق الجافة . وابتسم لها وهو يطويه تحت إبطه . إن الكلمات التي تخرج من فمها ونظرات عينيها ، لا يتفقان معا . وتمنى لو عرف ماالذي يجعلها تبدو في هذه الحالة من عدم الارتياح.

- "إنني لااهتم بالبرد . ولكن شكرا" .

كان من الممكن أن يكون الموقف اشد سوءا ، فلو قال إنه لايهتم بالحرارة، لأخذ تفكيرها اتجاها مضادا ، إذ لظنته شيطانا . فالشياطين معروف عنهم ممارسة السحر أيضا، أو التاثير في البشر، أو اي شيء يمكن لعقلها المشوش أن يتصوره . وسخرت من غبائها . إنه شيطان بقدر ماهو ملاك.

وقدرت انه من الأفضل لها أن تعود قبل أن تجعل من نفسها

www.liilas.com

اضحوكة :

- "من الأفضل أن أعود . أراك غدا" واخذت تخطو إلى الوراء ، ثم ولت مسرعة .

وفكر انها ربما تشعر بهذا الارتباك نتيجة لقبلته . واخذ يراقبها وهي تختفي. ربما قبلته وهي تحت تاثير الإجهاد ، وهي الآن اسفة لذلك ومر بيده على شفتيه لقد لمست منه اكثر منهما حين قبلته .

وكان البيت الملحق ساكنا ، ومظلما ، ومد يده يريد مفتاح الكهرباء ، ثم غير رايه . إنه يفضل الظلمة في بعض الأحايين ، مثل ذلك الوقت . إنه لايريد شيئا سوى ان يستلقي ، ويفكر فيها .

واستلقى على السرير ، مشبكا يديه تحت راسه . يراقب ظل شجرة بالخارج وهو يتحرك على الحائط امامه، بينما تداعب فروعها النافذة. ورفض التوتر ان يترك جسده . إنه لايزال غير مرتاح للطريقة التي كانت تنظر له بها . ولايريدها ان تعرف عنه شيئا . ليس بعد . ربما ليس على الإطلاق .

* * *

ماهذا الغباء الذي اصابها ؟ هل هو ملاك ؟ إنه ليس ملاكا اكثر من "فرانك" . وترددت ضحكة في حنجرتها للمقارنة بينهما . وتوقفت اسفل الشرفة برهة ، تفكر. وعادت ببصرها إلى المنزل الملحق . لم يكن قد لاح به ضوء بعد . ولم تتمالك نفسها من رعدة اخذت تحيط بكتفيها ثم اختفت على الفور .

ربما لايهم الضوء ، ولاعيب في ذلك .

ماالذي كان في ذلك الشراب الذى قدمه لها ؟ وشعرت بالخدر في عقلها .

بعض من هذا ، وبعض من ذاك . لقد قال لها ذلك .

غموض . لم تصل إلا إلى غموض في كل مرة ارادت ان تحصل منه على شيء ما . إنه لايريد لها ان تعرف عنه شيئا . ولكن لماذا ؟ ما الذي يخفيه عنها؟ اجنحة ؟ .

وضحكت "چاكي" ، ولكن ضحكتها كانت بها رنة لم تستطع ان تتخلص منها .

وهزت راسها . إن الموقف مشوش ، ولايمكنها ان تحلله الآن . غدا . غدا تفكر فيه جيدا . وسمعت الضحك من داخل المنزل ، فاغمضت عينيها ، وضمت شفتيها معا . إن "فرانك" لا يزال موجودا ، ولن يفيدها ان تكون جافة معه ، حتى ولو كانت تريد الاختلاء بنفسها . وتنهدت ودخلت ، معزية نفسها بان امامها الأطباق التي تشغلها بعض الوقت .

وانقشعت شكوكها مع شروق الشمس . الإجهاد هو الذي جعلها تفكر هذه الأفكار السخيفة عن "جابرييل" .

ملاك ! وضحكت من نفسها وهي تجدل شعرها ، ثم تثبته ببعض المشابك ، ونظرت إلى صورتها في المراة المعلقة بالحمام . إنها لاتشبه امراة ذات عقل مشوش ، ولكنها كانت بالتاكيد هكذا ليلة امس .

ملاك ! اوه !

ودست بلوزتها في بنطلونها وخطت خارج الغرفة . حان وقت البدء ولكن عقلها لم يتخل عن الفكرة التي الحت عليها ليلة البارحة . لقد ظل معلقا بها كما يتعلق "سويتهارت" بقطعة من العظم .

إن كونه قد جاء لنجدتها وقت ان فر الجميع بحثا عن عمل مدفوع الأجر ، او كونه قد ظهر لها في كنيسة وقت ان كانت تصلي من أجل معجزة ، او كونه قد عالج صداعها بشيء يفور ، حين لم تفدها اي اقراص لشركات الأدوية الشهيرة، او كون "سويتهارت" قد تبعه كجرو دمث وليس كما هو كلبا شرسا ، كل ذلك لاينفي انه شخص من لحم ودم .

احقا ؟

إن هذا الجدل قد بدا يتحول لقضية لن تنتهي .

وتحركت في عزم لغرفة المكتب . إن عليها ان تضع حدا لهذا الهراء . فامامها مزرعة محتاجة إلى الإدارة .

وكانت غرفة المكتب في منتهى الفوضى ، كشانها حين يقضي جدها فيها وقتا طويلا . وهزت راسها ، واخذت تبحث عن حقيبة يدها ، فهي تعلم انها في مكان ما في الغرفة . ولم تكن حقيبة اليد ذات منفعة كبيرة في المزرعة ، ولذا تعودت ان تفقدها . ووجدتها تحت كومة من

أوراق الصحف فحملت الأوراق ووضعتها بطريقة عشوائية فوق منضدة القهوة ، وأخذت تبحث داخل حقيبتها عن دفتر شيكاتها .

ولم تجده بالحقيبة ،وهزت كتفيها نافدة الصبر . يبدو أن عقلها يفكر في اتجاهات متفرقة منذ ليلة البارحة .

وتخيلت أنها رأته آخر مرة في درج المكتب ، فاتجهت إليه وشدت الدرج الأوسط ، ووجدت الدفتر .

وعاد "جابرييل" يملأ ذهنها مرة أخرى ، ووجدت نبضها يسرع إذ فكرت فيه .

حسنا ، من ذلك الرئيس الذي كان يتحدث معه ؟ وما ذلك العمل الذي شقا طريقهما إليه ؟ ولو كانت ذات عقل سطحي - قالت لنفسها وهي تلقي بدفتر الشيكات في حقيبة يدها - لاعتقدت أنه أرسل لها . ولكن الناس - وبالأحرى الأشياء - لاترسل لأحد . إن الناس هم الذين يصنعون حظهم ، وقدرهم ، أو شقاءهم .

ولماذا إذن - لو كان هذا صحيحا - ذهبت للكنيسة ؟ سألت نفسها ، فقد كان هناك صوت داخلي في تلك الأيام ، لايفتأ يشاغلها . ولكن الإجابة كانت سهلة . لأنها أرادت ذلك . شيء ما فطري داخلها .

وخرجت من غرفة المكتب إلى غرفة المعيشة ، حيث كان جدها منحنيا على لوحة الشطرنج ، مصمما أن يقهر "أموس ماكريدي" الهرم ، أقدم صديق لجدها . كعادتهما كل أربعاء ، من وقت لاتعيه ذاكرتها .

- "إنني ذاهبة لشراء ديك رومي ياجدي . وبعد أن أعود ، ساخذ "ياسمين" للتدريب" وكانت "ياسمين" هي الفرس الوحيدة في الأفراس الخمسة التي لم تتزاوج بعد مع حصان "توماس ماكريري" الأصيل . "أنها حساسة بدرجة ما تجاه الأفراس الحوامل" .

ورفع "مالكوم" عينيه عن اللوحة ، ونظر إليها :

- "إن العزبات دائما كذلك" .

- "أعرف ماتقصده ياجدي" الزواج ، دائما الزواج" ! . إن الجياد لاتتزوج " وقبلت قمة رأسه ، ثم غمزت لخصمه :

- "انزع عنه كبرياءه يا"أموس"

وقهقه "أموس" وهو يشمر كميه :

- "هذا ماانتويه يا"جاكي" بكل تاكيد"وحرك "مالكوم" قطعة شطرنج سوداء وقال هازئا : - "في الأحلام أيها الرجل الهرم" .

ورفع "أموس" حاجبيه الكثين :

- "هرم ؟ إنني أصغر منك بستة أشهر" فنظر إليه "مالكوم" نظرة متعالية :

- "الشباب في العقل" .

وأطلت "جاكي" من النافذة ، وكانت الشمس ساطعة ، تبشر بيوم حار آخر . صعود وهبوط . إن الطقس لايستقر على حال ، خصوصاً في ذلك الوقت من أواخر نوفمبر .

- "لقد أفحمك بهذا يا"أموس" . فهو يتصرف أغلب الأوقات كاخ مزعج ذي اثني عشر عاماً" . والتقطت سترتها ، تحسبا للظروف ، وطوتها على ذراعها ، وعلقت الحقيبة على كتفها ، ثم غادرت الغرفة .

وأعلن "مالكوم" :

- "دائما عنيدة" .

- "ولكنها لطيفة ، غاية في اللطف" .

- "نعم ، وربما أكثر لطفا مما هو في مصلحتها ، لكم أتمنى لو تزوجت ووجدت من يهتم بأمرها" .

- "إن "جاكي" بمقدورها الاهتمام بنفسها دائما" .

- "هل ستتكلم طوال النهار بدون لعب؟"

وضحكت "جاكي"لهذه المحادثة وهي تغلق وراءها الباب الخارجي . إن عادة جدها أن يهاجم إذا مافحم ، ويبتهج كثيرا حين يدفعها إلى الجنون .

وقابلها "سويتهارت" عند الدرجة الأخيرة ، وأخذ يهز ذيله :

- "كلا ، لن تأتي معي" .

ودست يدها في قفازها الجلدي الناعم الذي تعتز به كهدية من جدها قبل الحادثة :

- "أنت تعلم مايشعرون به في المحلات تجاه الكلاب وبخاصة أنت ، إني أعلم قصدك . إنك تريد قضمة من شخص جديد" .

وكان الكلب قد دار في منتصف عبارتها ، وانطلق عدوا كما لو كان

سيعود إلى البيت .

- "هذا حسن . انتبه جيدا لما اقوله لك" . وظللت عينيها ، فوجدت انه قد انطلق يعدو حين شم رائحة "جابرييل" الذي كان قادما من ناحية الإصطبل .

وأخذتها الحمية ، فوقفت داخل السيارة ولوحت لشبحه المقترب :

مرحبا "جابرييل" ماذا لو اخذت راحة وصحبتني إلى المدينة" .

وتوقف "جابرييل" ، ونظر للسرج الذي في يديه ، وقد كان ينوي ان يقضي بعد الظهر في إصلاحه . ولكن الامر ليس عاجلا .

- "لامانع ، امنحيني دقيقة" .

وهزت راسها وعادت للجلوس في السيارة ، ليغمرها إحساس بالبهجة ، ارجعتها لوجوده صحبة معها في تلك الرحلة ، وانه سيساعدها في حمل المشتريات، عالمة بانها كاذبة في هذا التبرير .

وراقبته وهو يقترب ، يخطو كفهد ، واثقا من خطوة . إن الملائكة ليست بالحيوانات ، اليس كذلك ؟ وضحكت على نفسها .

والقى بسترته بجوار سترتها في الكرسي الخلفي ، واوشك ان يصعد إلى المقعد المجاور ، حين التفتت إليه وسالته :

- "هل تحب ان تقود انت ؟" إن خبرتها تدلها على ان الرجال يفضلون التعامل مع عجلة القيادة . وكانت مدركة انها تبحث عن كل مايمكن ان يقنعها بانه كما يبدو وليس كما يوحي لها تفكيرها المضحك .

وهز "جابرييل" راسه :

- "شكرا ، ولكن لا . إنني لست ماهرا مع السيارات . إنني اميل اكثر للجياد" .

إنها يمكن ان تفهم ذلك ، فهذا رد فعل طبيعي لرجل يتعامل مع الجياد . وادارت المحرك في صمت غير مقتنعة تماما بمحاولتها لإقناع نفسها .

وسالته :

- "الا تريد ان تعلم وجهتنا ، ام تراك تعلم بالفعل ؟" وشعرت باناملها تبتل داخل قفازها ، حتى وهي تتهم نفسها بالحمق . وقفت

السيارة ، ثم دست يديها في جيبي سترتها .

ورد "جابرييل" ببطء :

- "حسنا ، باعتبار انك قد قضيت اسبوعا بالمزرعة ، فاعتقد انك متجهة للمدينة لشراء مايلزمك من مواد البقالة" .

امر منطقي جدا . ماذا بك يا "جاكي" إنك تقتربين من العته .

وردت في حبور متفائلة بالغد

- "وبصورة ادق ، من اجل الديك الرومي" .

وسالها :

- "الديك الرومي؟" واشتد هبوب الريح ، فانزل قبعته على عينيه .

ولم يعجبها الا ترى عينيه . وقالت :

- "غدا هو يوم الشكر" .

وهز راسه :

- "اوه ،هذا حق . لقد كنت ناسيا" .

من الطبيعي الاتكون الملائكة ملمة بالاعياد الأرضية . إنهم لايحتفلون بهذا العيد في السماء .

كفى يا "جاكي" إنك تدفعين نفسك إلى الجنون .

وحثت نفسها على ان تواصل الحديث . فقبل كل شيء ،هذا هو مجال مهارتها :

- "هل تفتقد اسرتك في يوم كهذا ؟ اقصد في الاعياد" .

عائلته . ولاحت ابتسامة متباعدة على شفتيه :

- "إن الأمر لايتطلب اعيادا ليفتقد الإنسان شخصا ما" .

- "آسفة لم اقصد التطفل" اوه ، بل لقد كنت اقصد ذلك للاسف" .

وشعرت بالاضطراب للملامح التي لاحت على وجهه ، بدون ان تفهم السبب .

وتحولت ابتسامته الغامضة إلى ابتسامة مشرقة :

- "اعتقد اني لست متحدثا جيدا" .

ولم تستطع مقاومة ابتسامته ، او نغمة النقد الذاتي في صوته :

- "إنني اندمج في الحديث مع "سويتهارت" اكثر منك . ولكن اعتقد انه بشيء من الصبر يمكن تطويعك في هذا الأمر" .

- "ربما" وفكر انه لو كان هناك إنسان قادر على ان يغير من طباعه ، فسيكون هذه الجنية الصغيرة ذات العزيمة الحديدية .

وشغلت جهاز الراديو، وجاءتها اغنية قديمة : "إنك ملاكي الخاص".

واسرعت بتحويل المحطة .

واخذت تراقبه في محل البقالة . لم تكن تقصد ذلك ، ولكنها لم تتمالك نفسها عن مراقبته بحثا عن دلائل تقنعها بسخف ماتفكر فيه ، رغم سخريتها من نفسها وهي تفعل ذلك . ربما كان ذلك يرجع إلى اسلوب تنشئتها . فقد كانت في طفولتها تستمع بشوق لقصص جدتها مقتنعة بان الملائكة تظهر لمن يستنجد بها وقت الشدة .

او ربما يقع اللوم كله على "جيمي ستيوارت" في ذلك الفيلم الذي شاهدته مع جدها ، او ربما هو الإجهاد في العمل وان الفكرة التي لاحت لها بتاثيره . قد دفنت على العمق واتخذت لنفسها جذورا تابى معها على الانتزاع .

ربما لايكون ملاكا ، ولكنه بكل تاكيد يبدو غريبا جدا على سوبر ماركت حديث. تعتريه الدهشة والاضطراب للبضائع المعروضة وكمياتها . إنه لم يفعل شيئا محددا يدل على ذلك ، ولكن كان هذا هو انطباعها .

قال وهو يدفع عربتها من جناح لآخر ، ممتلئ لنصفه بمنتجات القمح المعدة للفطور :

- "يبدو الأمر لي فقدا كبيرا للطاقة والنقود" .

ردت وهي تتناول الصنف المفضل لجدها :

- "إنه الاقتصاد الحر" .

- "اعتقد ذلك" .

- "الا تؤمن بالاقتصاد الحر؟"

- "لا اومن بالمنافسة المغالى فيها" .

واجابته :

- "ليس في هذا عيب" إن اموره غير معتادة على الإطلاق. واعلنت له:

- "لقد انتهينا ، ادفع بالعربة إلى هناك" واشارت له إلى صف تمنت ان يتحرك بسرعة وسالها "جابرييل" مشيرا إلى جهاز قراءة الأسعار

الآلي :

- "ماهذا؟"

فرفعت بصرها إليه بدهشة، وبدا لها ذلك امرا غريبا ، لابد من وجود تفسير منطقي لهذا الجهل ، ربما جاء من مدينة صغيرة ، فمثل هذه الأجهزة غير موجودة في كل مكان . وربت بمرح مزيف

- "إنه قارئ الأسعار . يمسحها إلكترونيا ويرسل البيانات للكمبيوتر حول ماقمت بشرائه" .

فقال بلا اهتمام :

- "أوه ." وانصرف ببصره إلى من حوله من العملاء .

وقالت لنفسها وهي تتبعه إلى السيارة :

- "إن هذا لايدل على شيء . ورفعت حقيبة مشترياتها من العربة لتضعها في حقيبة السيارة ، بينما اعاد "جابرييل" العربة . حتى ولو كان ملاكا . وهو ماليس حقيقيا فلماذا هي بهذه العصبية ، وذلك التوتر؟ لماذا كل هذا الحزن ؟ .

لانها تحبه . هذا هو السبب . لانها منجذبة له انجذابا نحى كل ماكانت تهتم به بعيدا عن دائرة الضوء . إنها لاتزال قلقة على المزرعة ، لايزال امامها الكثير من العمل ، ولاتزال ترى العجز في حساباتها البنكية مكتوبا بالمداد الأحمر ، ولكن ، وسط كل هذا ، يحدث شيء ما لها . نبضها يتسارع ، وعقلها يدور ، وخيالاتها يشطح بعيدا .

كل ذلك ، حول ملاك .

ربما هي في حاجة إلى معونة ، معونة جادة !

ولمس ذراعها ، فقفزت :

- "ماذا ؟"

- "كنت : اقول إننا انتهينا ، مالم تكوني محتاجة إلى شيء آخر من المدينة" - "نعم"الكشف على عقلي.

- "ماذا؟"

وهزت راسها :

- "لاعليك ، فلنعد إلى المنزل . لقد وعدت "ياسمين" بجولة" .

وفكر في السرج المحتاج للإصلاح ، والغرف المحتاجة للتنظيف ،

ولكن الحنين لركوب الجياد ملأ عليه نفسه ، وجعله يشعر بالهواء يتخلل شعره وهو يقوم بنزهة على ظهر جواد بصحبة فتاة جميلة وراته يصعد ببصره نحو السماء . هل يتصل بها ؟ هل يتلقى منها التعليمات ؟

هل فقدت هي عقلها ؟

واخيرا ، سالها :

- "اتريدين صحبة ؟"

ولم يكن باستطاعتها الرفض . إنها محتاجة إلى صحبة . صحبته هو ، وصفاء ذهنها .

- "يسعدني ذلك . لقد بذلنا من الجهد مانستحق معه يوما إجازة ."

- "مدفوعة الاجر ؟" واشار للطعام المكدس بالسيارة ، ملمحا للاجر الذي يتقاضاه واغرقت في الضحك "

- "لا ، هذا للغد . ولكن . لن ادعك تتضور جوعا اليوم" .

إن الملائكة لاتهتم بالطعام ،اليس كذلك ؟

ولكن الملائكة من البشر يفعلون ذلك .

وادارت مفتاح التشغيل ، وزمجر المحرك وقد دبت فيه الحياة . لاداعي لان تشغل بالها حول ميعاد القسط . فسوف تكون قد جنت قبل حلوله . مالم تتمالك نفسها .. وبسرعة .

* * *

سابقت "چاكي" "جابرييل" طويلا سباقا حارا ، حتى شعرت بانفاسها تتقطع ، وبذهنها يصفو . كانت تحس بانه يتعمد كبح جماح جواده ليجعلها تفوز عليه ، ولكن ذلك لم يكن يهمها ، فهي دائما تحب الفوز .

وحين وصلا إلى البراري ،ترجلت برشاقة عن "ياسمين" تاركة لجامها ينزل للارض ، فـ"ياسمين" متعودة ان تظل مكانها . ولحق بها "جابرييل" بنصف قفزة من جواده .

ورفعت بصرها له ، تتامل ملامحه الأخاذة في سعادة :

- "لقد تركتني افوز" وشعرت وكانها تحتضن الظل الداكن الذي يلقيه

عليها .

ولف "جابرييل" قدما من فوق الحصان ،وهبط بحركة انسيابية كما لو كان قد ولد فوق ظهر حصان :

- "لقد قلت لك إني لاأومن بالمنافسة . ثم إنك تبدين رائعة الجمال حين تكونين سعيدة ، كمخلوق فطري من مخلوقات الطبيعة" .

والقت بشعرها للوراء ، مدركة ان عينيها تتراقصان ،وكان شعرها الطويل قد تناثر ، فحررت البقية منه باصابعها ، فهي تحب شعرها حرا .

- "إن لك عيني شاعر" .

- "بل الاحظ فقط" .

وتقدم منها خطوة ، ولم تتحرك من مكانها ، وعيناها على شفتيه . وبدات تشعر بدمها يفور مرة أخرى " :

- "وماذا لاحظت ايضا ؟"

ولم يجبها ، وغرقت البراري في صمت عدا صوت جريان دمها يطن في اذنيها . ومد يده لشعرها، واصابعه تداعبه في رقة ببطء ، وهمس، وكانما لنفسه :

- "ياله من دهر" .

دهر ؟ رباه ، أهو مجرد الغموض الذي فيه ، أم ..؟

ولكنه حين احتواها بين ذراعيه ، لم يعنها مع قبلته إن كان غامضا أم لا ، لم يعنها ماهو ، لم يعنها سوى شفتيه منطبقتين في رقة ، على ثغرها . ومدت يديها إلى عنقه ، وضمته إليها ، مغمضة عينيها .

واضطرب نبضها بجنون . ولاحت الأخطار حولها كبرق خاطف ، سرعان ماتلاشى . فلو كان ماتفكر فيه حقيقة ، أيكون هذا اختباراً ؟ هل ستنصب عليهما صاعقة ؟ هل ستميد الأرض بهما .

ولكنها تميد بالفعل!

وفتحت عينيها ،واحست باضطراب الأرض تحتها ، وراحت الجياد تصهل مذعورة ، وقفزت هي مبتعدة عن "جابرييل" .

- "إنه زلزال" .اجاب بذلك السؤال في عينيها المذعورتين وامسك بلجامي الفرسين ، فقد بدا أن كل ما كانت قادرة على فعله ، هو

www.rwias.com

مراقبته كخرساء ، ثم توجه نظرها للسماء ، وقد اتسعت عيناها بالدهشة .

وتوقفت الأرض عن اضطرابها ، وظلت هي على جمودها .

وقال معلقا :

- "زلزال خفيف" .

ومد لها يده بلجام "ياسمين" وبدت مذعورة كليلة امس . فما السبب ياترى ؟ إنها من "كاليفورنيا" ، حيث الزلازل امر مالوف . وكان هذا غاية في الخفة ، لايكاد يلاحظ .

- "ربما كان ذلك تحذيرا حتى لا اقبل حفيدة رب الضيعة التي اعمل بها" .

- "ربما" وجاء صوتها حشرجة حين تشرب عقلها معنى عبارته .

وضحك ضحكة رقيقة ، ولكنه كان يدرك انها لاتسمعه .

الفصل الثامن

قال "مالكوم" موجها كلامه لـ"جابرييل" :

- "ليس هناك مايشعر المرء بالحياة كوجبة شهية" . لقد كان مسرورا ان يشاركهم الرجل وجبة عيد الشكر ، لقد اعتقد ان الجو سيكون موحشا لو تناولهامع حفيدته وحدهما . اما وجود "جابرييل" معهما فكان من شانه ان يبعد عن ذهنهما ما هو مخبا لهما في المستقبل القريب .

ونظرت "چاكي" لكرش جدها وقالت :

- "او تجعله بدينا" . ثم وقفت وقالت ضاحكة ، وهي تنظر للبقايا المتخلفة عن الديك الرومي ، والصحاف الفارغة :

-"حسنا ، لم يعد هذا يثير الشهية بعد" وابتسمت وهي تفكر في المعركة الحادة التي دارت رحاها .

وانحنت لترفع طبق جدها ، فهم بان يضربها على يدها وهو يقول محتجا :

- "لم انته بعد" . ثم غمغم :

- "إنك أسوأ من "سويتهارت" .

وضيقت "چاكي" من عينيها ، وسمعت "جابرييل" يضحك وراءها ، فشعرت بالدفء لصوته .

- "لو كنت تستطيع رؤية شيء من اللحم في هذه العظام ، فسوف اعترف لك بحدة النظر" .

وافتر الثغر الضيق تحت اللحية الكثة عن ابتسامة ، ورماها بنظرة لايخفى عليها معناها ، يذكرها بها بوقت أن قال إنه يرى شيئا بينها وبين "جابرييل" ، واعترضت على قوله منكرة ذلك .

- "اعطني طبقك يا جدي ، وإلا اطبق "سويتهارت" على عنقك لو طال به الوقت" . وأومات للكلب الذي كان واقفا بينهما يراقب مابينهما من شد وجذب .

- "خذيه ، حتى لايقول احد إني اجوع احداً على مائدتي ، حتى ولو كان كلبا" .

- "وسويتهارت" يقدر لك كرمك ياجدي" . واختطف الكلب غنيمته قبل أن تتمكن من وضعها أمامه .

واخذت تنظف المائدة ببطء ، ونهض "جابرييل" صامتا ليساعدها . وسألت "چاكي" جدها :

-"والآن ، هل انت راض عن نتائج الانتخابات يا جدي ؟" وكانت تقصد أن تحول انتباهه عن تناول الحلوى ، ولكن كان الأسهل لها أن تنقل المحيط للصحراء بملعقة .

وأجاب :

- "نوعا ما" ثم مد راسه تجاه الفرن :

- "هل الحلوى جاهزة ؟"

وتقبلت "چاكي" الهزيمة بصدر رحب ، وتطلعت في الموقد ثم قالت :

- "على وشك" ، وأخرجت ثلاث شوكات ووضعتها على الأطباق . ثم التفتت لتقول لـ"جابرييل" :

- "إن جدي يصر على أن يكون أول شخص في المدلين باصواتهم كل انتخاب ، حيث ياخذه "أموس" بسيارته . وقد كان لدينا انتخابات قبل التحاقك بالعمل معنا مباشرة" .

- "لاتسقط عن شخص مسؤولياته لعدم قدرته على المشي" وكان الزهو واضحا في صوته . وحملق "مالكوم" إلى الفرن نافد الصبر :

- "إنك ستحرقين الفطيرة" .

فردت عليه بلا انفعال :

- "إنك الذي تحترق ، أما انا فاسخنها فقط" ووضعت الأطباق على المائدة .

وغمغم "مالكوم" بشيء غير مفهوم ، ثم التفت لـ"جابرييل" ، يريد أن يجذبه للحديث :

- "يجب أن يحافظ الإنسان على الإدلاء بصوته ليواكب الأحداث اليس كذلك يا"جابرييل" ؟"

- "لاأستطيع القول ياسيدي" .

وتشمم "مالكوم" رائحة فطيرة الكريز ، التي كانت "تخرجها "چاكي" من الفرن .واحس بلعابه يسيل لها و"چاكي" تضعها أمامه مباشرة ، وكان انتباهه موجها جزئيا فقط للحديث :

- "لماذا يا"جابرييل" لاتشارك في الانتخابات" .

وشعر "جابرييل" برغبته في الفرار ، ولكن لم يكن ذلك من طبعه ، وايضا لم يكن من طبعه الكذب . فتناول من "چاكي" علبة اللبن وهو يتبادل معها النظر ، ملاحظا التساؤل في عينيها " . ماذا يكون رأيك لو عرفت الحقيقة ؟ "سالها في صمت . ثم وضع علبة اللبن ، ورد في هدوء :

- "لا" .

وحملق إليه "مالكوم" ، ناسيا الفطائر وشهيته المفتوحة ، وضيق من عينيه، كما لو كان ذلك سيعينه على الفهم . وواجهته صعوبة أن يؤقلم بين هذه المعلومة، وبين الصورة التي يحملها للرجل .

- "الا يؤنبك ضميرك حين لاتشارك في النظام ؟".

ولاحظت "چاكي" ابتسامة جافة على شفتي "جابرييل" وتساءلت . ما الذي يدور وراء هاتين العينين ؟

وتوقفت يدها بالسكين فوق الفطيرة ، متسمرة ، تنتظر إجابة "جابرييل" ، الذي حاز كل انتباهها في تلك اللحظة .

- "في اثناء مشاركتي في النظام ، لاستطيع ان اشارك في الانتخابات".

ومد "مالكوم" طبقه لـ"چاكي" ، وكان قد قرر ان شؤون "جابرييل" ، تخصه هو وحده ، ولكنه لم يستطع ان يقاوم فضوله :

- "أهذا لغز يابني؟"

ووضعت "چاكي" قطعة "جابرييل" في طبقه ، وقالت لجدها :

- "إن "جابرييل" له الحق في الحفاظ على اموره الخاصة يا جدي".

ووضعت القطعة الثالثة في طبقها وجلست وهي تتنهد . ولمحت نظرة شكر في عيني "جابرييل".

وفكرت ان هذا ليس لغزا ، بل إجابة . إن "جابرييل" يقصد ان النظام الذي يشارك فيه لايحتاج لتصويت . فالملائكة غير محتاجين لأن يدلوا باصواتهم .

واخذ "جابرييل" يختلس النظر لـ"چاكي" وهو ياكل ، محاولا ان يقرا افكارها في عينيها . لقد كانت عيناها معبرتين تماما ، تقولان له شيئا لايفهمه . وانتظر منها إشارة تدل على انها كشفت سره ، ولكن ذلك لم يحدث . فقط الاضطراب . ربما عليه ان يخبرها حالا ، فهو نفسه يريد ان يخبرها ، وحاول مرة او مرتين ، ولكن الكلمات ماتت على شفتيه . ورغم انه ليس هناك ما يجعله يخشى ان تعرف الحقيقة ، إلاانه لم يعد يستطيع فجاة ان يستسيغ طعم الكلمات على لسانه ، حتى لا تغير فكرتها عنه . واعتدل في مجلسه . إنها حين تعرفه اكثر ، ربما يمكنها ان تتقبل الحقيقة وتتقبله نفسه على ذلك .

ولكن عليه ان يكون متاكدا قبل ان يخبرها .

وجذب إليه اخر قضمة من الحلوى ، وهو سارح الفكر . إنه غير واثق بانه سيتاكد ابدا ، ونظرت له "چاكي" منتبهة تماما للصمت الذي ران على الغرفة :

- "الا تعجبك هذه الحلوى ؟" ولم تكن تطلب كلمات الإعجاب ، بل كانت تبحث عن موضوع بريء تقطع به حبل الصمت .

- "ماذا ؟ اوه" ونظر للقطعة المتبقية في طبقه ، ثم رفعها إلى فمه :

- "إنها الذ ماتناولت".

- "إنها تصنع فطائر الشيكولاتة بالكريمة رائعة ، قضمة منها ، وتظن نفسك انك قد توفيت وصعدت للسماء"

وضحك "جابرييل" :

- "حسنا ، في الواقع انا ..."

وهبت "چاكي" واقفة ، لاتريد ان تسمع البقية . إذا كان بصدد ان يعترف انه من اهل السماء بالفعل ، فهي لاتريد سماع ذلك . إنها تريد الاحتفاظ به ، "جابرييل" ، عاملها الزراعي ، لمدة أطول ، حتى ولو كان ذلك يعني انها تدفن راسها في الرمال .

واعلنت بصوت مرتفع نوعا ما :

- "علي ان اغسل الأطباق . ولن اقدم لكما شيئا من الحلوى مرة ثانية إلى ان تهضما ما اكلتماه." ثم تعمدت ان توجه نظرتها لكرش جدها .

والتفتت لتجد "جابرييل" قد اخذ طبقه مع طبقها ، فتناولتهما منه ، وتقابلت عيونهما لحظة ، اخذ كل واحد يزن فيها الآخر . وشعرت بقلبها يتجمد في صدرها . كانت خائفة اكثر من اي وقت مضى ان تكون على حق .

وشعرت بحلقها يجف :

- "لاداعي لأن تغسل الأطباق او تساعد في التنظيف يا"جابرييل" فساقوم انا بذلك . إنه عيد الشكر".

- "إنه عيد الشكر ، واود ان اكون فيه نافعا".

وهكذا الملائكة .

- "حسنا إلى ان تنتهيا من هذا الجدال ، سانهب انا لغرفة المعيشة، وادخن قليلا إلى ان يتقرر موعد النوبة التالية من الحلوى".

وردت "چاكي" بدون ان تلتفت إليه ، وهي تضع السدادة في الحوض:

- "اذهب انت لغرفة المعيشة ودخن قليلا ، ولن تكون هناك نوبة اخرى من الحلوى".

وقال "مالكوم" متاففا :

- "من الصغير هنا؟"

وتناولت "چاكي" المريلة ، وادخلت راسها في حمالتها . ثم مدت

يديها وراءها لتربط رباطها الخلفي ، فوجدت يدي "جابرييل" هناك . فالتفتت وراءها قليلا مدهوشة ، فابتسم لها ، وهو يربطه لها واهتزت مشاعرها لهذه اللفتة الطيبة .

- "إنه انت ، مادمت لاتستمع لكلام الأطباء" وكانت كلماتها خافتة عن المعتاد، بسبب تاثير قرب "جابرييل" منها .

وقاوم "مالكوم" ابتسامته لرؤيتهما معا ، وفكر في سعادة ان الأمر لن يستغرق وقتا طويلا . وتظاهر بالاحتداد في المناقشة ، حفاظا على الشكل :

- "تبا ! إن الطبيب في الغالب مختل بنفسه الآن مع سيجاره . إن "بوبي اندرسون" ولدي سيئ الطباع طوال عمره ، وكونه قد حصل على درجة في الطب لايغير من الأمر شيئا" .

إن عليها ان تبتعد عن "جابرييل" حتى تستطيع ان تفكر بوضوح . لقد كان جلدها ساخنا ، ساخنا جدا ، وتساءلت إن كانت وجناتها تحمران . وكانت تشعر بذلك . والتفتت لجدها ، ممتنة انها لم تفقد تسلسل تفكيرها :

- "بوبي اندرسون" طبيب محترم . اما كونه سيئ الطباع ، فهذا شيء تعرفه اكثر مني" .

وهز "مالكوم" راسه ، ودفع بكرسيه للخارج وهو يقول :

- "عليك بها يا فتى" وكادت "چاكي" تقسم إنها سمعت ضحكة رضا مكتومة منه .

ونظر "جابرييل" تجاهه :

- "الايمكن ان يفعل شيء بالنسبة لساقيه؟" إنه يعرف مرارة تقييد الحرية ، وكيف تسلب من الإنسان كرامته ، وعزة نفسه . وكل وسيلة من وسائل تقييد الحرية اسوا من الأخرى" .

- "لا" . واخذت تغسل الأطباق ، وتعلقها في الأرفف :

- "إنه محتاج إلى معجزة هو الآخر" .

- "ماذا؟" وبدت الحيرة على وجهه وهو ينظر إليها .

وهزت راسها في حرج . كيف سمحت لنفسها بزلة اللسان تلك؟ إنها لاتريده ان يعترف فلو فعل ، إنها تعلم انه سيختفي . ولم تكن تدري

من اين جاءتها هذه المعرفة . ولكنها تعرف . وكفى :

- "لاشيء ، إني آسفة" . واقبلت على الأطباق تدعكها بعنف .

ولكن ، من اين جاءتها هذه المرارة ؟ من اضطراب تفكيرها . إنها تدرك ذلك . إذ لو كان ملاكا ، لو كان هذا محتملا ، فلماذا إذن يفعل بها ذلك ؟ كان سيعرف شعورها نحوه . كان ذلك في قبلتها ، في عينيها . فهل هذا اختبار ؟ وهل هي ترسب فيه رسوبا شنيعا ؟ إنها بالتاكيد كذلك . وسقطت شوكة في الماء ، فتناثر الرذاذ مبللاً كميها . وتراجعت بحركة الية .

مانتيجة الارتباط بين كائن فان ، وملاك .

الخواء .

وتصلب جسدها وهي تشعر به يلمس شعرها ، ويزيحه جانبا . واقشعر جلدها . وانتابها الخوف . إنها لاتعلم كيف يثير بهذه اللمسات البسيطة ، كل هذه الرغبة فيها .

- "چاكي" ، اريد ان اشكرك" .

واخذت نفسا عميقا ، قبل ان تتجرأ وترفع بصرها فيه :

- "عَلامَ ؟"

ورفع طبقا وبدا في تجفيفه :

- "على العشاء" .

واعطته الطبق التالي :

- "ولكننا نتناول العشاء كل يوم ، والفطور ايضا" .

- "اقصد عشاء عيد الشكر" .

وكان في صوته شيء جعلها تتوقف لتتفحص وجهه :

- "ولماذا لاندعوك معنا فيه؟"

وهز كتفيه وهو يتناول طبقا اخر ، وتحاشى النظر في عينيها :

- "إنه للعائلات عادة" .

- "حسنا ، لقد رافقت عائلتنا" .

ووضع "جابرييل" المنشفة للحظة :

- "لاتكونوا متعجلين في توزيع دعواتكم" .

إنه يدفعها ببطء شديد إلى الموضوع الذي تخاف منه :

- "ماذا؟"

- "اقصد انكم لاتعرفون من انا حقا" . واشاح ببصره عنها .

وقد كان في صوتها ، ورنة الرجاء فيه ، ماجعله يلتفت إليها :

- "إذن اخبرني انت" .

- "ليس بعد" .

وضغط بإبهامه خدها ، يريد أن يقبلها ، يريد أن يعترف لها ، ليتخلص من آخر قيد. ليس الآن. ليس الآن . ورنت الكلمات في رأسه:

- "هناك امور لايمكن ان اخبرك بها عني" .

وتنهدت ، ضاغطة بردفها على الحوض . ولعقت شفتيها :

- "ربما استطعت ان اخمن" . اكثر مما تتصور .

وراته يفتح فمه ، ثم يغلقه . واجتاحها السرور وإن لم يتكلم ، فهي لاتريد ان تعرف .فمادامت لم تتيقن ، سيظل لديها الأمل .

واحست بشيء مايثور بداخلها ، الأمل اليس هو قرين الملائكة ؟ والآن ، تريدهما ان يذهبا معا . وتساءلت اليس هذا تجديفا ؟ خصوصا أن اعياد الميلاد على الأبواب .

وهل سيرحل عند حلول اعياد الميلاد ؟ فور أن تنزل الزينات ؟ هل سينتهي الأمر عندئذ ؟ وتملكتها رعدة ازالت ماشعرت به منذ دقائق من راحة .

وامرته ، وهي تجاهد ان تتمالك نفسها :

- "تناول هذه المنشفة مرة اخرى وقم بعمل نافع ، إذا كنت ممتنا حقا من اجل العشاء" .

لقد عاد المرح لعينيها . إنه يحب عينيها حينما تبرقان به ، إذ تذكرانه بنجوم السماء التي يعشقها :

- "سمعا وطاعة ياسيدتي" .

ونادى"مالكوم" من غرفة المعيشة :

- "اين الحلوى ؟"

وشكرت "چاكي" هذا التحول ، ومطت راسها تجاه غرفة المعيشة :

- "هل تدخن ؟"

- "هل تشمين شيئا ؟"

- "لا" .

هل هذا رد على سؤالي ؟"

- "لا" وضحكت وغمزت لـ"جابرييل" ، وهي تمسح يديها في المريلة :

- "ولكني ساتي لك بقطعة اخرى على اية حال" .

وزمجر :

- "اخيرا ! واحضرا لكما ايضا ، فانا اكره ان اكل بمفردي" .

ورنت عليه :

- "ها !"

والتفتت خلفها لـ"جابرييل" الذي كان يبتسم لهذه المحاورة اللطيفة بينهما . وكانت ابتسامة تقلص لها مابداخلها ، ثم انبسطت جوانحها كما لو كان شعاع من ضوء الشمس قد انحبس بداخلها . اسرتها كما لو كان قد لف جسدها كله بالاغلال بها .

وفي هذه اللحظة ، تيقنت "چاكي" انها وقعت اسيرة الحب ، حب شخص قد يكون ملاكا طيبا يحمل الخير . حسنا لم يقل احد إنها قد طرقت من قبل طريقا مالوفا .

- "جابرييل" ، هل تاتي بالاطباق لو سمحت ؟" واخذت الفطيرة وسبقته .

- "بكل تاكيد"

وتبعها إلى غرفة المعيشة ، يحدث نفسه بان يستمتع بوقته قليلا بهذه المتع الارضية البسيطة ، راضيا بوجوده وسط هذه الاسرة . وربما بشيء من الحظ ، استطاع ان يمد إقامته بينهما .

ودخل "جابرييل" على "چاكي" ووجدها تحملق إلى النتيجة كالماخوذة:

- "ماذا تفعلين؟ "لم تكن الأسئلة قط جزءا من حياته . فهو دائما يقنع بالانتظار حتى تاتيه الإجابات ، إذا ماكانت متاحة . اما مع قربه من "چاكي" فالاسئلة لاتفتا ان تثور في راسه . إنها تغيره .

ودارت حول نفسها مشدوهة . فهي لم تسمعه يدخل . ولكن ، لماذا يفترض ان تسمعه ؟ إن المفترض انه لايحدث صوتا إلا إذا اراد ذلك .

- "إنني استجمع شجاعتي" .

ولحق بها :

www.rilas.com

- "لماذا ؟"

ولم تتمالك نفسها من الابتسام ، رغم ماكانت مقبلة على مواجهته :

- "لقد بدأت تتعلم إلقاء الأسئلة منذ أن جئت إلى هنا" .

وصب لنفسه قدحا من القهوة ، ووقف بجوار الموقد . وكان اللهب تحت الموقد منخفضا ، معطيا ضوءا أزرق خفيفا لايكاد يلحظ :

- "الفضل لكم" .

- "حسنا ، وتنهدت" ربما لايدوم هذا الفضل طويلا ، إذا اخفقت رحلتي اليوم" .

ورأت أنه رفع حاجبا ، منتظرا . إنها لم تر من قبل من هو مثله صبرا . ولكن أليس من المفترض أن يكون الملائكة صبورين ؟ لماذا لايحدث أن تواجه دليلا يدل على النقيض ؟ شيئا يدل أنه قد خلق من الطين؟

لا ، لا . إنها لن تسمح لأفكارها بأن تشطح هذا اليوم . فهي محتاجة فيه إلى كل حصافتها ، حتى تعطي الأثر المطلوب .

- "إنني متجهة للمدينة ، لكي أسأل مدير البنك أن يمنحني مهلة لسداد القرض" واومأت لما على المائدة من بيض مخفوق مع اللحم :

- "تفضل ، وسيلحق جدي بك في دقائق . لقد قضى ليلة مسهداً " وتنهدت" بسبب التفكير في القرض بلاشك" وفتحت حقيبة يدها ، واطمأنت إلى الأوراق التي بها لرابع مرة في ذلك الصباح .

ولم يجلس "جابرييل" ، بل أفرغ مافي قدحه في الحوض ، ووضعه على الطاولة :

- "هل تريدين صحبة ؟"

وتوقفت ، ونظرت إليه :

- "للبنك ؟"

والتقط قطعة من اللحم :

- "نعم" .

وابتسمت وهي تراقبه وهو ياكل . إن الأفعال البسيطة كانت من الأشياء التي تتعلق بها كلما ثار في ذهنها السؤال حول ماتخشاه أن يكون حقيقة . إن صحبته لها ، سواء أكان إنسانا أم ملاكا ، سيساعد

على إراحة نفسها ، فهي محتاجة إلى الثقة بنفسها هذا اليوم . وليس من معنى أن تذهب وتطلب مد المهلة، ومظهرها يدل على الإحساس بخسارة المعركة بالفعل .

- "إنني أود ذلك ، لو كان باستطاعتك أن تأخذ نفسك من إصلاح السور الخلفي" .

وكان قد بدأ يضع قبعته على رأسه بالفعل، وبدا فيها أكثر غموضا:

- "لقد أصلح" .

- "أبهذه السرعة ؟"

- "نعم" .

وحملقت إلي وجهه :

- "ولكنه كان محتاجا إلى عمل كبير" . لقد اكتشفا تهدم جزء كبير منه ، منذ أسبوع فقط ، في اليوم التالي لعيد الشكر ، وهما في إحدى نزهاتهما الخلوية. - "أنجز" .

- "لماذا يدهشني ذلك ؟" غمغمت وهي تلتقط معطفها من المشجب المجاور للباب ، وتوقفت ليساعدها على ارتدائه . وتسببت لمسته لها في شعورها بالرجفة المعتادة وقالت :

- "ربما استطعت أنت عمل شيء مع مدير البنك" .

قال :

- "لامانع" .

ووقفت كلمته التي قالها ببساطة وكأنها تأكيد منه ، ولم تدر إن كان يداعبها ، أو كان جادا . وكانت خائفة إلى حد ما أن تعرف . بل كانت خائفة حقا أن تعرف .إذا كان ماتظنه ، فإن المشكلة التي تواجهها في هذه اللحظة ، ستكون قد حلت . إنها واثقة بذلك . سيكون جدها سعيدا ، والضيعة أنقذت ، وستتحول هي إلى أغنية تغنى حول نيران السمر ، أغنية أسطورة "چاكي" والملاك ، أوشيء من هذا القبيل . ولن يدهشها أن يكون الأمر قاسيا على نفسها .

أما لو لم يكن كذلك ، وكان كل مافي ذهنها نتيجة إجهاد وخيال جامح ، فسينتهي الأمر إلى نجاح عاطفي لها ، مع فقد الضيعة . إنها الخسارة على أي من الاحتمالين .

ما السر الذي يخفيه عنها ؟ لقد ذكر ان هناك سرا لايمكنه ان يطلعها عليه ، فإذا لم يكن السر هو انه ملاك ، فماذا يمكن أن يكون ؟ .

إن كثيرا من الاشياء الغريبة التي حدثت ، تشير إلى انه على الصورة التي لاتود أن يكون عليها .

ودخل جدها المطبخ . وبدا ضئيلا بصورة ما على كرسيه . عيناه مجهدتان ، وكتفاه مسترخيتان قليلا . إنها تعلم انه يكره ماهي مقدمة عليه ، ويكره ان تكون هي من ستتعرض له . لقد عرض ان يذهب بنفسه ولكنها رفضت بحزم . إنها تعلم كيف يكون عليه حين ينفجر غضبا ، وقد يؤثر ذلك بشيء في صحته . إن لديه مايكفيه من المعاناة.

وحاولت ان تبدو مرحة لأجله :

- "جدي ، انا متوجهة للبنك الآن" .

- "اذاهب انت معها ؟"

- "نعم" .

وبدا مرتفع المعنويات شيئا مالهذا ، وهو يراهما يتاهبان للانصراف معا .

- "حسنا . ربما يمكنك ان تضع شيئا من خشية الله في قلبه فلا ينفع سوى هذا" .

وربت "جاكي" مضطربة الانفاس :

- "لو كان هناك من يمكنه ذلك، فسيكون "جابرييل" " وتقدمته خارجة.

قفز "سويتهارت" لرؤيتهما ، ووقف على رجليه الخلفيتين ، واضعا الاماميتين على جسد "جابرييل" ، يمد راسه ليلعق وجهه .

- "ياه ، لابد أن فراقكما قد طال لخمس دقائق . ماهذه القدرة التي لك على الحيوانات يا"جابرييل" " لم يكن الكلب فقط ، بل الجياد أيضا . لقد كانت تراقبه وهي تستجيب لدندنته الرقيقة في الصباح ، كما لو كان صاحبها منذ وقت طويل . يالها من موهبة !

بل قدرة .

ونفضت الفكرة عن ذهنها . ولكنها ظلت تهاجمها من كل النواحي .

- "إن هذا أمر ياتي طبيعيا" .

- "فهمت" وكانت المشكلة انها قد بدات ... وهي غير راغبة .

بدت الرحلة للبنك اقصر من المعتاد ، سال خلالها "جابرييل" بعض الاسئلة حول القرض ، ثم حول وضع جدها في المجتمع ، وظنت انه يفعل ذلك لكي يبعد ذهنها عن المهمة الشاقة التي هي بصددها . وشكرت له ذلك . ولكن ، مإن توقفا لدى البنك ، حتى شعرت بجفاف حلقها .

وقالت وهي تهبط من السيارة ، وتمسح كفيها في جينيها :

- "حسنا ، لن نخسر شيئا . ربما كان من المناسب أن أحضر "سويتهارت" معنا" . وفكرت في رد فعل كلبها تجاه الناس . "إن كلبا ينبح إلى جانبك لايمائله شيء في جعل الآخرين يقتنعون بوجهة نظرك" .

واخذت نفسا عميقا ، وخطت للرصيف . إنها لاتحتاج إلى مهلة إلا إلى حلول الربيع وفتح لها "جابرييل" الباب ، ودخلت . وكان بالداخل بعض الناس ينهون معاملاتهم واقشعر جلدها ، لقد كان داخل البنك يفتقر للدفء .

وبدون وعي ، مدت يدها لتتعلق بذراع "جابرييل" .

الفصل التاسع

عبرت "چاكي" السجادة الصناعية ذات اللون البني الغامق ، إلى أن توقفت أمام الحاجز الخشبي الذي يصل ارتفاعه لخاصرة الإنسان ، والذي يفصل موظفي خزانة البنك عن بقية العالم . وكانت الحوائط مكسوة بلوحات ضخمة ذات أطر ، لمناظر من الصحراء والغرب القديم، ذات ألوان دافئة . كان الديكور مصمما ليضفي جوا من الألفة ، يريح أعصاب المتعاملين . وأحست "چاكي" بذلك أكثر من أي شخص آخر .

وتلفتت إلى يمينها ، حيث سكرتيرة مدير البنك ، فتاة هادئة في الثلاثينات . كانت تدقق النظر في الشاشة الخضراء للكمبيوتر الموضوع على مكتبها . وأخذت "چاكي" نفسا عميقا ، تعد نفسها للأسوأ ، وتتمنى الأفضل . وكانت تشعر بـ"جابرييل" وراءها ، وتستمد من قربه الراحة . رجلا كان أو ملاكا ، إن وجوده كان أمرا طيبا .

- "أهلا "دنيس" " والتفتت لها الفتاة ذات النظارة ، وابتسمت :

- "هل مستر "سوندرز موجود ؟"

وأحس "جابرييل" بشيء من عدم الثقة في صوتها . إنه يعرفها الآن

منذ ثلاثة أسابيع ، وكانت الثقة تبدو في كل شيء تفعله ، ووجد ذلك صفة تجنبه إليها ، ومن ثم فقد دهش لهذا المظهر الذي يدل على الضعف منها، وإن كان ضئيلا . واستنفرت داخله نزعة الدفاع عنها .

ونظرت الفتاة إلى اليسار ، ثم عضت شفتيها :

- "إن لديه موعداً في العاشرة والنصف مع شركة استثمار ، ولكن من الممكن أن تقابليه لعدة دقائق قبل ذلك" . وكانت نبرة صوتها توحي بعدم الثقة في عبارتها . ونهضت ، ثم ترددت "أتودين أن أخبره أنك هنا" . وكانت ملامحها تدل على التعاطف .

وتفاعلت "چاكي" مع ذلك التعاطف ، على الرغم منها . فكونها في وضع صعب لايعني أن تكون جافة مع "دنيس" .

- "لو سمحت" ثم التفتت لـ"جابرييل" :

- "لاداعي لدخولك معي لو لم تكن راغبا في ذلك . فقد يكون الموقف غير مريح" . وضحكت ، في عصبية هذه المرة :

"بالنسبة لي أساساً" . ولكنها كانت تريده معها ، لتشجيعها ، لجلب الحظ له لذاته .

ورفع عنه قبعته ، وامسك بها وهو ينظر مباشرة في وجه "چاكي" :

- "هل تعتقدين أنه لن يمنحك مهلة؟"

وحاولت أن تنفث الشعور بالياس الذي يجتاح نفسها :

- "لا" .

- "ولماذا نحن هنا إذن ؟" وجاء السؤال سهلا ، ومباشرا .

وهزت كتفيها :

- "من قبيل التشبث بالأمل الواهي على ماأظن ، و .."

- "إنه سيراك الآن يا"چاكي" "

والتفتت "چاكي" فوجدت الفتاة تمسك الباب المزدوج مفتوحا لها ، فدخلت .. وتبعها "جابرييل" ، ولمح نظرة الفضول التي رمته بها سكرتيرة مدير البنك . فهز رأسه لها ، فأخذت خطوة للوراء ، وهي تبتسم ببلاهة .

ونهض "ليف سوندرز" جزءاً من البوصة خلف مكتبه المصنوع من خشب الماهوجني و"چاكي" تدخل الغرفة .. ورأت حركته هذه ليست إلا

حفاظا على الشكليات فقط . كان طويلا ، نحيلا ، قضى في الأعمال البنكية المتنوعة اغلب عمره الذي يقترب من الثامنة والخمسين . وكان والده مديرا للبنك قبله . كان الرجل من الطراز الذي يهتم اهتماما شخصيا بكل قرض ينتهي اجله ، وكل استيلاء يحين اجله . وفكرت باسى ، كيف أن الرجل يتنفس الأعمال البنكية ، ويفهم الأرقام والإحصاءات اكثر مما يفهم البشر .

وكانت "چاكي" واعية لعيني الرجل الخضراوين البلورتين الحادتين ، وهي تزنهما والرجل الواقف وراءها لنصف دقيقة . وثبت في روعها أن شعار الوقت من ذهب ربما يكون محفورا كوشم على صدره .

واشار لهما بيدين كبيرتين إلى الكرسيين الكبيرين أمام مكتبه اللامع :

-"حسنا "چاكلين" بالها من مفاجاة" ولم يكن في ابتسامته اي اثر للحياة :

- "اجئت تدفعين القرض قبل موعده؟"

وقاومت الرغبة ان تخفض بصرها للأرض ، فكلاهما يعلم أن السؤال ليس حقيقيا :

- "بل جئت اطلب مد أجل السداد" . ودهشت للهدوء الذي كانت عليه، مع ماهي فيه داخليا .

ولم يهتز الشعر الرمادي الممشط بعناية والرجل يهز راسه :

- "چاكلين" ، لقد تحدثنا في هذا الأمر من قبل" .

وقبضت يد "چاكلين" بعنف على مقبض الكرسي ، مقاومة الرغبة ان تطبق بها على عنق "سوندرز" :

- "نعم اعلم . ولكني ظننت انه ربما .."

قال الرجل مؤكدا :

- "إن الأمر ليس شخصيا" . وكان صوته رقيقا، ليس بسبب مشاعر من جانبه لا، ليس شخصيا . ولو كان، لمنحها الرجل اجلا . فهذا امر ممكن دائما . ولكن الرجل كان بنكيا إلى النخاع . ولم يكن في ذلك اي خطا . كما انه ليس في ذلك اي صواب ايضا . وودت "چاكي" لو تهب حياتها مقابل اية لمسة شفقة في تلك اللحظة .

وبدات تقول :

- "ادرك هذا . ولكني كنت امل .." ولم تستمر لاكثر من ذلك .

- "لايمكنني أن ادير البنك على اساس الآمال يا"چاكلين" . وانا متاكد انك تقدرين ذلك . لقد كنا كرماء باقصى استطاعتنا" .

وودت لو تجيبه ، لا . يمكنك ان تكون اكثر كرما . يمكنك إرجاء الإشعار الموجه للضيعة حتى الربيع ، او شهر على اقل تقدير . ولن يضار احد بذلك . وسيتحمل دفتر حساباتك الثمن هذا الإجراء .

ولكنها لم تقل اي شيء من هذا القبيل . إن "سوندرز" ليس لديه ادنى دراية بالعطف الإنساني او النيات الحسنة ، على خلاف والده . ولكن والده تقاعد وقت حادثة جدها بالضبط . إن الأمر يبدو كان كل شيء على وجه الأرض يسير ضدهما .

- "إن أربعا من افراسنا توشك ان تضع في الربيع ، وقد تحدثت بالفعل مع المشترين وفور ان تصل الأمهار الصغيرة ، سنتمكن من دفع عجلة المزرعة من جديد ، وستكون بداية طيبة" . وارتفع صوتها قليلا :

- " فلا تجعلها انت النهاية" .

واخذ يرتب بعض الأوراق امامه بعناية ، مذكرا إياها بـ"كاليب" :

- "ليس لي شان بذلك" .

- "بل لك" . وشعرت بيد "جابرييل" فوق يدها . ونظرت ، فإذا سلاميات اصابعها قد ابيضت .

- "إن لدينا قواعد ولوائح يا"چاكلين" واخذ يتفحصها برهة :

- "ماذا لو لم تخرج الأمهار للوجود ؟"

- "بل ستفعل" .

وعاد صوته اشد هدوءا :

- "إنني لست مقامرا يا"چاكلين" . لست إلا مجرد بنكي عادي ، وشروط القرض غاية في الوضوح . والآن ، لو سمحتما لي ..." واومأ لها ولـ"جابرييل":

- "إنني على موعد" ، وانصرف لعمله ، متجاهلا إياهما كلية .

وشعرت "چاكي" بقلبها يغوص مرة اخرى ولم تكد تشعر بنفسها وهي تقف على قدميها واخذ "جابرييل" بذراعها وقادها نحو الباب .

ولم تدر ماالذي دفعها للحضور . ربما كان الأمل الذي تولد لديها ، وقد وجدت الأمور تتحسن خلال الأسابيع الثلاثة الماضية . ربما لأن "جابرييل" كان إلى جوارها ، وشعرت بصورة ما أن وجوده سيغير من الأمور .

وتطلعت إليه شاعرة بغبائها وهما يخطوان إلى الشارع :

- "لقد كنت على حق لم يكن ثمة داع للمحاولة" .

ورد بهدوء :

- "لا ، لم أقل ذلك . لقد قلت فقط لماذا" . ونظر إلى الأرض ، ثم إليها مرة أخرى ، وكانت الابتسامة خجولة على وجهه :

- "لقد نسيت قبعتي" . وعاد إلى البنك ، وتبعته .

وتطلع لهما بعض موظفي البنك بفضول لقد كان البنك صغيرا . وكل فرد فيه على دراية بالعمليات التي تدور داخله .

وامسك "جابرييل" بيدها ليقفها :

- "لماذا تاتين معي ؟ إن الأمر لن يستغرق دقيقة ، ولاأعتقد انك تودين رؤية وجه "سوندرز" مرة أخرى" .

- "لا . ابدا"

وراته وهو يشير لـ"دنيس" لتفتح له الباب . إنه يسحر البشر كما يسحر الحيوانات . فكرت في ذلك وهي شاردة اللب ، تقاوم الشعور بالضياع الذي يجتاحها . وقدمت لها "دنيس" كرسيا . ولكنها رفضت :

- "إنه لن يغيب كثيرا" .

لقد كانت تخدع نفسها طوال الأسابيع الماضية ، مطلقة خيالها يتصور الأمل بالنسبة للضيعة ، ولـ"جابرييل" . ليس هناك من معجزات معنوية باسمها . ولا إشارة بوقف التنفيذ قبل الإعدام بدقائق . إن الضيعة ضائعة قبل حلول أعياد الميلاد ، و ..

- "چاكلين ؟"

والتفتت بحدة ، و"سوندرز" ينادي اسمها . كان واقفا خارج غرفة مكتبه ،يبدو متخاذلا بصورة غريبة ،غير منتفخ الأوداج هذه المرة . و"جابرييل" قد خرج، ممسكا بقبعته. وعاد ذهن "چاكلين" لينتبه لـ"سوندرز" مرة أخرى :

- "نعم؟"

وبدا الرجل غير مرتاح بقدر كبير :

- "هلا حضرت إلى مكتبي لحظة ؟" ونظرت إليه نظرة شك و"دنيس" تمسك لها الباب .

هل سيطلب منها السداد فورا، هل سيلعب دور البنكي ذي القلب المتحجر إلى مداه؟ لا، ليس له الحق في ذلك. لايزال من حقها بقية الأجل .

وسمعت الباب يغلق ، وانتظرت إلى أن دار "سوندرز" إلى مكانه وراء المكتب ، وارتكن بيديه عليه ، كما لو كان محتاجا إلى شيء صلب يستند عليه .

- "إنني ، في الواقع ، قد نظرت في مشكلتك بعين الاعتبار" .

كذا ، في ثلاث دقائق ؟ ماالذي يرمي إليه ؟ ونظرت لـ"جابرييل" الذي بدت نظراته لها مشجعة ، وبدأت الإثارة تتصاعد داخلها :

- "نعم؟"

وبدا "سوندرز" متوترا - أو غير مرتاح بقدر كبير - لدرجة تمنعه من الجلوس. وابتسم تلك الابتسامة الخالية من الحياة ، ولكن هذه المرة لم يكن المهم هو ابتسامته ، بل كلماته .

- "لست أرى باسا - واضعا في الاعتبار روح هذه الأيام - في مد الأجل أسبوعين" . ثم نظر لـ"جابرييل" ، وعاد يصحح نفسه :

- "لا ، بل لآخر يناير".

ورددت غير مصدقة :

- آخر يناير؟" هل هي في حلم ؟ هل يقصد حقا أن ..

ونظرت إلى"جابرييل" . وتوقف قلبها لحظة ، ثم اندفع في عنف . كان يبتسم لها ابتسامة غاية في الرقة ، والغموض . وتزاحمت بداخلها شتى مشاعر ، الفرحة ، والإثارة ، وغيرها، إن الأمر لايقل عن معجزة .

معجزة ! وعاد الجفاف إلى حلقها .

وقالت ببطء :

- "سيكون ذلك رائعا" . مجبرة نفسها على النظر إلى"سوندرز" ، وكل رغبتها أن تحملق إلى "جابرييل" .

وظهرت "دنيس" لدى الباب :

- "مستر"سوندرز" ، وصل مندوب المؤسسة" وكانت تتحدث بكل رقة خشية أن تزعج رئيسها . فقد كانت انفعالات "سوندرز" مع مرؤوسيه امراً مشهوداً .

ولكنه لم يشعر بالضيق للمقاطعة هذه المرة ، بل بدا كما لو كان قد انقذ من موقف مزعج له .

- "نعم ، نعم .. حسنا .."

وقالت "چاكي" بسرعة :

- "سننصرف الآن يامستر"سوندرز" ، وشكرا جزيلا لك " ولم تنس أن تصافحه ، لكنها لم تكد تشعر بيده ، فقد كان كل انتباهها مركزا على مهلة الشهرين التي فازت بها . وعلى حقيقة أن "جابرييل" كان له يد في الأمر بصورة ما . ونظرت إليه وهما يغادران البنك ، وكررت :

- "شكرا لك" .

ونظر إليها في براءة ، تعودت أن تنظر فيما وراءها . وقال :

- "لقد ذهبت أستعيد قبعتي"

- "نعم ، نعم !"

وعادت البلبلة إلى ذهنها . إنها على حق ، يجب أن تكون على حق . ليس هناك من وسيلة اخرى تدفع "سوندرز" لتغيير رايه ، سوى التهديد بالسلاح . وحتى في هذه الحالة ، كان سيستدعي الشرطة . لم تكن هناك من وسيلة تجعل الرجل يمنحها الأجل، سوى تدخل السماء. تدخل من ملاك !

ونظرت إلى"جابرييل" في صمت ، تشعر بكل انواع المشاعر تعتمل داخلها . كانت تشعر بالزهو لما حصلت عليه من أجل . كم من حروب كسبت خلال شهرين . ومن يدري ، ما الذي ينتظرها من مفاجات أخرى ، وما الذي يمكنها أن تحققه ، خصوصا مع هذا الكائن العلوي بجوارها ؟ ولكن ، وبنفس المنطق ، لو كان"جابرييل" كما تتخيل ، ولازداد الشكوك حوله انحسارا ، فماذا هي فاعلة إزاء ذلك ؟

اللعنة ! لقد وقعت في حب ملاك ! ونظرت إلى السماء ، فراتها مظلمة على غير توقع . أهذا تخريف منها ؟ أن تربط اللعنة والملاك في

جملة واحدة ؟ وفكرت في توتر ، حسنا ، إن الأمر لايعنيها ، فهي فعلا في موقف من اللعنة أن توجد فيه.

وسالها "جابرييل" وقد عادا للسيارة :

- "ما الخطب؟"

- "وأي خطب يمكن أن يكون ؟" وادارت السيارة ، واعطتها وضع الحركة للخلف ونظرت خلفها، تنتابها الرغبة في أن تصطدم بشيء ما، ولكنها تمالكت نفسها :

- "لقد واجهنا الذئب توأ ، وبدلا من أن يلتهمنا ، قرر فجاة أن يكبح جماح شهيته ، وأن يمنحنا أجلا لشهرين " . واعطت السيارة الوضع الأمامي ، واندفعت بها ، وزعقت الإطارات .

- "ارفعي قدمك عن البنزين" . ومد يده ليضعها فوق يدها على عجلة القيادة.

ونظرت إليه في عناد ، ثم اصابها الخجل على التو من تصرفها :

- "اعتقد انك قلت إنك لاتعرف القيادة" .

- "لم اقل إني لاأعرف . كل ماقلته ، إنني افضل الجياد . والآن ، خفضي السرعة" . واطاعته حانقة :

- "ولكن تعليقك هذا لايدل على السعادة" .

- "السعادة ؟ إنني في أوج السعادة" . ومسحت بغضب دمعة نزلت من عينيها

- "دموع الفرح ؟"

- "شيء من هذا القبيل" .

وساد الصمت بينهما وهما في الطريق . ومدت يدها لتشغل المذياع، وجاءها صوت المذياع يعلن أن المقطوعة التالية ، هي "ملاك ام شيطان" فاطفاته على الفور.

على بعد خمسة أميال من الضيعة ، صدرت عن السيارة اصوات فرقعة عالية، ثم ضوضاء تبعها توقف مفاجئ . وحاولت "چاكي" ، وقد انهلتها المفاجاة ، أن تعيد تشغيلها ، بدون جدوى .

وغمغمت :

- "عظيم!"

ونزلت من السيارة ، ونزل "جابرييل" من الجهة الأخرى . واخذت تحملق في المحرك ، ولكن ، لم يكن امامها ماتراه في الواقع . وزاد الأمر سوءا باختفاء الشمس ، وحلول الظلام فجاة . وبدا كما لو كانت عاصفة توشك أن تهب ، جالبة موسم المطر قبل موعده بشهرين .

وجال بخاطرها أن الطقس قد اخذ يشذ عن عادته منذ أن وصل "جابرييل" .

ونظرت إليه مستنجدة :

- "أيمكنك إصلاحها ؟" فهز راسه :

- "إني في الواقع لادراية لي بمبادئ ميكانيكا السيارات"

واغلقت غطاء السيارة بعنف :

- "هذا صحيح ، لقد نسيت انها جاءت بعد زمانك" .

- "ماذا ؟!"

وتراجعت عن ذلك التعليق منها :

- مجرد هراء . انظر ، إنني جد اسفة ان صحت في وجهك . إنها انفعالاتي التي كانت على اشدها و .."

- "لست محتاجاً لأن تشرحي لي" .

آه ، إنك تعلم بالفعل ، حسنا . ولكنها اجبرت نفسها على الابتسام ، إذ ذكرت نفسها بانه عاونها ، وان هذا كل ماكانت تريده ، وكل ماصلت من اجله . فكيف له ان يعلم انها وقعت في حبه . إن الملائكة لاخبرة لها بهذه العواطف .

ورفعت بصرها إلى السماء :

- "لايمكن ان نظل هنا ، فالسماء سوف تمطر ، والسيارة لن تتحرك" .

وجال ببصره في المكان وكان في الخلاء ، وسط حقل فسيح . وقال :

-"الم نمر بكوخ قريب من هنا ؟"

ونظرت إليه غير فاهمة مرة ثانية ، ثم تذكرت :

- "بالفعل ! كوخ الصفصاف القديم ، لايبعد عن هنا كثيرا . لقد كنت اظنه مسكونا بالأشباح . أو هذا ماكان يخبرني به "كاليب" حينما كنا نلعب بالقرب منه . ربما كانت الأصوات التي اسمعها بداخله من فعل "كاليب" " . وامسكت بيده:

- "هيا" ، هذا الاتجاه " واشارت نحو الشمال ، ونزلت قطرة ماء كبيرة على وجهها:

- "لن نصل إلى هناك في الوقت المناسب ، ولكن ، هيا نركض إليه على اية حال" .

ووصلا قبل أن ينهمر المطر مباشرة . ووقفا يلهثان في الشرفة المتهاوية ، يرقبان سيول الماء تقرع الأرض بشدة .

- "لايبدو انه سيتوقف قريبا" .

وفكرت "جاكي" في جدها . إن اليوم هو الأربعاء ، وهو الآن مع "اموس" . ولكنه سوف يقلق عليها . وهزت راسها :

-"لا ، لن يتوقف قريبا" .

ودفع "جابرييل" الباب الخارجي . فانفتح ببطء مصدرا أزيزا عاليا ، إذ لم يكن مثبتا إلا بمفصل واحد :

- "قد نضطر لقضاء الليل هنا" .

ونظرت للظلمة بداخل الكوخ المتاكل ، وعلى الرغم منها ، ومن حقيقة انها اكبر من اخر مرة كانت فيها هناك ، ولم تعد تؤمن بالأشباح ، إلا انها شعرت برعدة فقالت :

- "هنا؟"

وبدت في عينيه طفلة صغيرة . وكان يعلم أن هذه الصورة لن ترضيها ، ولكنها جعلتها اكثر قربا إلى قلبه :

- "إن المكان ادفا بالداخل ، واكثر جفافا" .

وسمعت المطر يتسرب من عدة اماكن من السقف فقالت :

- "لاتصور ذلك" .

وضحك ، واخذ بيدها ، واحست بنفس الشحنة التي تحس بها دائما . اليس هذا ماتحسين به لو لمسك ملاك ؟ وحاولت أن تبدو متماسكة .فليس في هذا اليوم شيء يمكن أن يبدو واقعيا .

وقال يستحثها :

- "هيا ، ستكونين في مامن معي" .

إنها ستكون في مامن في اي مكان ، مادام بجوارها ملاك ولكنها ترددت قليلا ، قبل أن تتبعه إلى الداخل .

وقالت تعلق على ترددها في الدخول :

- "إن العادات القديمة لاتموت سريعا " .

وملأ رائحة الخشب المتعفن انفها فور دخولهما . وكانت الظلمة حالكة ، فلم تتبين الأشكال داخل الكوخ بسهولة . ولكنها سمعت أصوات اقدام صغيرة مسرعة .

وهمس إذ شعر بما تحس به :

- "أصوات فئران" .

ملاك او لا ، إنه يجعلها تحس بشتي الأحاسيس فور ان يتنفس بجوارها . لايتاتى للأمور ان تستمر هكذا ، وتراجعت ، تريد ان تكون في الفضاء المفتوح، فقد احست ان الجدران تكاد تطبق عليها من كل جانب ، وامسك بها "جابرييل" بشدة ، فقاومته تحاول ان تتحرر منه وتتجه نحو الباب .

- "ماذا بك ؟"

قالت وهي ترفع صوتها فوق صوت المطر :

- "إن الفئران قد احتلت المكان قبلنا ، ولهاحق السبق" .

وكانت يدها باردة في يده ، أيمكن ان تكون خائفة من الظلام حقا ؟ "جاكي"؟ لايمكن ان يصدق ذلك . ومع ذلك ، فما التعليل الآخر ؟

-"جاكي"، لايوجد شيء يسمى اشباحا تجوس الأماكن في اثناء الليل"

ومررت يدها بعصبية خلال شعرها المبتل . وكانت قبعتها قد طوحتها الريح ، فظلت معلقة على ظهرها برباطها المطاطي الملفوف حول عنقها .وردت عليه :

- "إنك خير من يصدق ذلك" .

- "إنك تقولين اشياء غريبة في بعض الاحيان"

- "واحيانا افكر في اشياء غريبة " .

وسمعها تتنفس بصعوبة ، وعلم ان الرعب يتملكها :

- "إن كفيك كالثلج" واخذ يدعكهما فارادت ان تسحب يديها :

- "لاتفعل ذلك"

- "لماذا ؟"

- "لانك تدفئهما" . لانك تثير الدفء في داخلي ، وكلانا يعلم انه لايحب ذلك . شهران امتداد لأجل الدين ، وهاهي ذي تشعر بالشقاء كما لم تشعر به من قبل.

وتعجب من قولها ، وظن انه بسبب الإجهاد :

- "هذا ماكنت أفكر ان افعله" .

وسحبت كفيها ، وبدات تتحرك في الكوخ ، وصوت الزجاج يتهشم تحت قدميها ، وقالت :

- "ليست بالفكرة الطيبة" .

- "اتحبين ان تشعري بالبرد ؟"

- "وتلفت فوقع بصره علي مدفاة

واخذت تدعك ذراعيها بكفيها متمنية ان يكف المطر :

- "الأمر اعقد من ذلك" .

وركع "جابرييل" بجوار المدفاة ، ثم تطلع بداخلها ، فوجد ضوءا يتسرب إليها . حسنا ذلك يعني ان المدخنة نظيفة مما يسدها .

وجلس على عقبيه ، ونظر إليها :

- "هل هذا التعقيد يتعارض مع إشعال النار بالمدفاة ؟"

- "لا" واتجهت إليه ، لاتريد ان تقف بمفردها في الظلام :

- "إذا امكنك تشغيلها" .

- "لامشكلة لدي بالنسبة للمدفاة . إنها الميكانيكا التي تزعجني" .

ونهض ، وتطلع في المكان ، فوجد بين العناكب والقمامة بعض الكراسي المحطمة ، تحيط بمنضدة متاكلة ، وعليها بقايا صحف صفراء الورق . "هذا طيب" .

وراقبته وهو يدس ورق الجرائد في المدفاة ، ثم حطام الكرسي ، ثم يدس يده في جيبه ليخرج علبة ثقاب .

- "لم اكن اعلم انك تدخن" وكادت تقول :

"إن الملائكة لايدخنون" . ولكنها تحكمت في لسانها في آخر لحظة .

- "انا لاادخن . إنه جدك . لقد كنت اوقد له غليونه امس" وابتسم في خجل "إنه لم يكن يريدك ان تعلمي " واشعل عودا من الثقاب ، قربه للورق .

- "إنه كطفل صغير ، يحاول دائما أن يفعل شيئا مافي السر . وأنا أكره أي شيء يقصر من عمره ولو يوما واحدا" .

ونهض "جابرييل" واقفا وقد رضي عن النار المشتعلة . أحيانا لاتكون الأهمية لطول الحياة ، بل لنوعيتها" واقترب منها منجذبا إليها بأشياء لايستطيع أن يسميها .

وكان شعرها الذي قارب أن يجف ، دافئا ، مغريا في وهج النار . وأراد أن يلمسه ، وأن يداعبه . لقد عاوده الحنين بشدة ، مذكرا إياه بأيام كان فيها حرا في أن يقدم نفسه بلاتردد ، ومد يده ، ولمس الخصلة التي على خدها .

ونظر في عينيها ، ومرر يده على طول خصلة شعرها . وأحست هي بالرغبة تنهش قلبها بكل عنف .

ورأى أشياء في عينيها ، أهو الخوف ؟ أهي الرغبة ؟ لم يكن يعرف ، ولكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر من ذلك . إن كل مايريده هو أن يلمسها ، أن يجد ريحها بين ذراعيه . ويكفيه منها هذا . هذا القليل منها سيكون فيه كفاية . وقال لها برقة :

- "ليس المفروض أن نكون وحدنا في مكان كهذا" .

- "أعلم ذلك" ولم تتحرك حين أحاط خصرها بذراعيه ، وضمها إليه.

- "ويجب الاتكوني بين ذراعي هكذا" .

ووضعت يديها على ذراعيه . وشعرت بهما قويتين . كذراعي رجل .

- "أعلم" .

وتصاعدت النار متأججة في المدفأة وقال :

- "ويجب ألا أقبلك" .

وشبت على قدميها ، وقربت فمها من شفتيه :

- "سنتحدث في هذا فيما بعد" .

وأحست كأن السماء دبرت كل هذا . وشعرت بنفسها تذوب بين ذراعيه ، والرغبة فيه تزداد اشتعالا .

وغطى المكان وهج يخطف الأبصار ، تبعه صوت الرعد ، فقفزت للخلف ، وقلبها يدق في حلقها ، وقد اتسعت عيناها ، وصرخت :

- "ماهذا ؟"

وجذبها "جابرييل" إليه ، يحاول أن يهدئ من روعها . لقد رأى جيادا تخاف هكذا في العواصف ، ولكنه لم ير إنسانا قط يتصرف هكذا :

- "إنه الرعد يا"چاكي" الرعد ولاشيء غيره وابتسم يحاول تهدئتها :

- "يبدو أن الطبيعة تثور ضدنا كلما حاولت أن أقبلك" .

- "نعم" وبلعت ريقها بصعوبة ، ثم تراجعت عنه ، وهي تأخذ نفسا عميقا :

- "أعتقد أنه يجب علينا أن نعود إلى المنزل" .

- "إن المطر لايزال ينهمر" . ورأى الرعب في عينيها مرة أخرى . هل لأنهما أوشكا أن ينساقا وراء رغبتهما ؟ هل يرعبها ماكانت ستتطور إليه الأمور بينهما ؟ إن السبب لايزال خافيا عليه .

واتجهت إلى النافذة . لقد كان تحذيرا . تحذيرا بصوت كاشد مايكون قوة .

قالت بشيء من الابتهاج :

- "لقد خف المطر كثيرا . كما أنني لاأحب أن يظل جدي وحيدا بالمنزل" .

- "أليس "أموس" معه ؟

إنه يتذكر كل شيء :

- "بلى ، ومع ذلك ، فأنا أفضل أن أكون إلى جواره" .

وفهم . فقال وهو يضع لها قبعتها على رأسها ، ويحكم رباطها :

- "كما أنه لم يسمع الأنباء السارة بعد" .

وكررت بلافهم :

- "الأنباء ؟" أنباء كونه ملاكا ؟ ليس هناك تعليل آخر لاحتراق المصهر ، والزلزال ، والصاعقة ، يحدث كل هذا في كل مرة يحاول أن يقبلها فيها . فماذا هي فاعلة بحق السماء ؟ أتموت من الكمد ؟

- "أنباء مد أجل القرض" .

آه ، معجزة أخرى . وقالت وهي تحاول أن تزيل أثر المرارة من نفسها :

- "آه ، هذا حق . إنه لم يعلم بعد ، وسيسر كثيرا لذلك" .

وأجبرت نفسها على ابتسامة .

ولكن الابتسامة لم تصل إلى عينيها . ونهش "جابرييل" وهو يتساءل عن السبب .

الفصل العاشر

ضاع اثر ما حققاه من نجاح هذا الصباح ، مع المنظر الذي قابلهما وهما يقتربان من المنزل . كان المنزل ، والإصطبل ، والمنزل الملحق لم يمسها سوء . اما الجرن ، فقد احالت الصاعقة جزءا منه رمادا محترقا .

وهرعت للمنزل تتزاحم الأفكار المخيفة في راسها :

- "رباه ، جدي .. جدي .." ونهض "اموس" من على الأريكة ، واتجه لهما ، بينما "مالكوم" يحرك كرسيه ليواجههما . وكان يحاول أن يخفي مشاعره ، ولكن القلق كان واضحا على وجهه .

- "انا هنا . رباه ، ماهذا يانسة ؟ إنك تبدين كقطة مذعورة" .

واندفعت إليه تحتضنه بشدة :

- "شكرا لله . لقد كنت خائفة عليك" . ولم يهتم أي منهما بما كانت عليه من بلل .

- "الجرن .."

وهز "اموس" راسه :

www.liilas.com

- "أسف يا "جاكي" . لم يكن بيدي أن أفعل شيئا" .

-"بالتأكيد لا .." وأخذت نفسا عميقا :

- "والجياد ؟"

- "في حالة أفضل منك ، طبقا لما يقوله "أموس" " فرد "أموس" معترضا :

- لم يحدث لي أن قارنتها بـ"جاكي" " .

وزفرت "جاكي" النفس الذي كانت تحبسه ، وأزاحت الشعر المبتل عن وجهها، وابتسمت لصديق جدها :

- "شكرا لبقائك معه" .

وانفجر "مالكوم" :

- "لاتشكريه لقد كان خائفا من العاصفة . ولم يكن ليرحل إلا بعد هدوئها أليس كذلك يا "أموس" ؟"

- "كما ترى يا "مال" .

وتحركت للنافذة ، وحملقت بقايا الجرن إليها تبادلها النظر ، أشباه داكنة لما كان عليه . ياإلهي ، كان من الممكن أن يصل الحريق للمنزل ، والإصطبل . وشعرت بالامتنان يملأ قلبها .

وأحست بـ"جابرييل" وراءها ، فمدت له يدها ، فأخذها مشبكا أصابعه في أصابعها ، وقال لها :

- "كان من الممكن أن يكون الأمر أكثر سوءا" .

- "نعم أعلم" وتساءلت إن كانت حمايته قد شملت الضيعة ، حتى وهو بعيد عنها .

وسأل "مالكوم" :

- "كيف تعودان متأخرين هكذا ؟" فاستدارت "جاكي" عن النافذة"

- "لقد تعطلت السيارة على بعد خمسة أميال من هنا" .

ونهض "أموس" يضع عليه معطفه :

- "ألديك فكرة ماذا حل بها" ؟ . فهزت كتفيها :

- "مجرد أن المحرك قد خمدت أنفاسه" .

- "أين هي ، على الطريق الرئيسي ؟" وهزت رأسها إيجابا :

- "سأرى مايمكنني أن أفعله بها في الصباح" .

- "المهم ألا تفجرها" .

وانفجر "أموس" ضاحكا وهو يضع قبعته :

- "عجوز أخرق حَبُّوب ، أليس كذلك ؟حسنا . أراكم جميعا في الصباح" .

وتبعته "جاكي" للباب :

- "شكرا جزيلا يا "أموس" على كل شيء" .

- "العفو يا "جاكي" "وغمز لها . وكادت تقسم إنه يبدو أصغر بخمسة وثلاثين عاما .

وبعد نصف الساعة - حين جلست "جاكي" بجوار جدها تصب له شراب الكاكاو الساخن بعد أن بدلت بثيابها ثيابا جافة - حين تذكرت أن تخبره بمد أجل الدين .

كان "أموس" عند كلمته ، فقد عاد قبل الظهر ، وقبل حلول الظلام ، كان قد أعاد الحياة للمحرك . ورفض أن يأخذ مقابلا ، ولكنه بقي للعشاء ، وطلب أن تتذكره "جاكي" حين تزمع بيع الأمهار الوليدة . واحتفل مع أصدقائه بمناسبة مد أجل الدين ثم انصرف .

وقالت "جاكي" وهي تنظف المائدة :

- "عجوز طيب القلب" فرد ساخرا :

- "نعم ، إذا كنت تحبين هذا الصنف" ولكنه كان يبتسم" .

- "حسنا ، اذهبا أنتما الاثنين لتناول القهوة فلدي حسابات وأرقام تشغلني" . ومرت ساعة ، ودفتر الحسابات مفتوح على المكتب المبعثر ماعليه . و"جاكي" تبدل القلم من يد لأخرى ، شاردة الذهن عما أمامها من أرقام . لم تكن تفكر في عملها ، بل في ذلك الرجل الجالس في غرفة المعيشة ، يسامر جدها . ذلك الرجل الذي أصلح كل شيء في حياتها ، كل شيء عدا حياتها ذاتها . وكان هذا هو الشقاء بعينه .

- "الأرقام يا "جاكي" ، ركزي فقط في الأرقام" . ومدت يدها لكومة من الفواتير المرتبة بعناية ، كلها قد فات أوان سدادها ، بمواعيد متفاوتة. إن مد الأجل سيعطيها فرصة لسداد نفقات الغذاء والطبيب البيطري، وهي الحسابات الأكثر إلحاحا . بعد أن تراجع تهديد البنك .

ولكن إلى متى ؟ وتركت الفواتير تقع من يدها ، وهي تحملق إليها .

كانت كمن يواجه فوهة بندقية ، ستنطلق الرصاصة منها حتما لحظة ما . ماالفرق بين ان تدير المزرعة لتسعة وثلاثين يوما ، ثم تتوقف ، او ان تتوقف الآن.

لان صوتا خافتا داخلها لايفتا يلح عليها ، ربما ياتي الغد بمفاجاة، بشيء غير متصور . فارس يهرع لنجدتها ، ممتطيا صهوة جواده .

- "الملاك" ، او في حالتنا هذه "جابرييل" "غمغمت بهذا للكلب الذي كان واقفا يخربش في الباب . ورجعت بكرسيها للوراء ، ولكن إحدى عجلاته استعصت على الحركة حتى أعطتها مزيدا من الدفع . يبدو ان كل شيء يخالفها هذه الأيام ، بما في ذلك تفكيرها السليم .

- "تريد الخروج ، اليس كذلك . لم تعد تهمك صحبتي الآن مادام هو هنا ، اليس كذلك ؟" واتجهت للباب والكلب يرفع رجلا بعد الأخرى :

- "كنت اعلم دائما انك متقلب العواطف" وفتحت له الباب :

- "هيا ، متع نفسك" .

وانطلق الكلب لغرفة المعيشة غير عابئ بها . وأرادت ان تغلق الباب، ولكن يدها توقفت على المقبض .

جاءتها أصوات الضحك من غرفة المعيشة. إنه يجعل جدها يضحك. ونفخت صدرها ... رباه ، لكم تغيرت الحياة منذ ان وصل . لقد كان "جابرييل" حسنا لكل شيء ، الضيعة وجدها والكلب .

اما هي ؟

هل كان حسنا لها ؟ تفكرت في ذلك والمرارة تملأ نفسها . كان يمكن ان يكون كذلك، لو كان إنسانا تزين الأجنحة مقدمة الحذاء الذي يلبسه، بدلا من ان تكون له اجنحة .

وضحكت وهي تتصور كيف ستبدو حمقاء لو حكت مشاعرها لأحد . ومع ذلك، فقد كانت الشواهد كلها تشير إلى ماتحس به . فليس لديها من تفسير لكثير منها . إلا بتقبل فكرة ان "جابرييل" ليس إلا كائنا سماويا هبط لنجدتها.

وهمست لنفسها : "لماذا ؟" وكان الباب لايزال مفتوحا" .

هل لما تحس به من إيمان رغم مافي ذهنها من تساؤلات حول الدين ؟ تساؤلات لاتجد لها إجابة واضحة .

ورفعت راسها . لو ظلت تفكر بهذه الطريقة ، فسوف يعود لها الصداع . ولكنها لم تعد تعبا بالصداع . فقد تذكرت ساخرة ان "جابرييل" سوف يعالجها بمشروبه الفوار .

وخطت خطوة تجاه المكتب ، ثم توقفت. إنها لن تضحك على نفسها. فاي شيء ستفعله الآن سيكون عليها ان تعيده غدا . فعقلها لم يكن مؤهلا للعمل هذه الليلة . فهو محتاج للراحة .

وجذبها الضحك . وقدرت انها لو ظلت اكثر من ذلك في غرفة المكتب ، بين الأفكار والأرقام ، فسينتهي بها الأمر للجنون . عليها ان تكون الآن في الخارج . بين الأحبة . وجذبت الفكرة الابتسامة لشفتيها .

وراها مبتسمة وهي تدخل الغرفة عليهما .. إنها الابتسامة التي تجول بخياله وفي احلامه ، وتذهب عنه عناء العمل في نهاره . ابتسامة تجعلها كما يراها دائما ، خليطا من الجمال والبراءة ، واشعة الشمس .

واومات لهما "چاكي" براسها . واتخذت لنفسها مجلسا على حافة الأريكة بجوار جدها ، وشبكت اصابعها بشدة ، ويداها على حجرها .

وردد "مالكوم" النظر بين "جابرييل" و"چاكي" . إنه لم يكن مخطئا ، فهو يحس التوتر بينهما ، شحنة كهربية تملأ الفراغ بينهما . وتساءل إلى متى سيظل الأمر بينهما هكذا ؟ إنه لم يكن يتوانى عن تحفيزهما ، ولكن الخطوة النهائية كانت لهما ، فالقرار اولا واخيرا قرارهما .

ولاحظت "چاكي" البوم الأسرة مفتوحا على المنضدة :

- "أهذا ماكان يضحككما ؟" واشارت إلى بعض اللقطات التي تبدو فيها طفلة مع اخيها . إنه لم يكن يبتسم ، حتى حينئذ. كانت الابتسامة بالنسبة له مضيعة للطاقة ، ولم يكن يعرف عنه ، إضاعة حركة واحدة بدون فائدة . الاقتصاد ، والاقتصاد دائما ، إلى ان وصل لما وصل إليه متربعا فوق كومته . وكانت المشكلة انه ينظر للضيعة كاحد عناصر تلك الكومة .

ونظر "مالكوم" ، مضيقا عينيه إلى الصور . وكانت نظارته فوق المنضدة ، ولكنه يرفض ان يضعها على عينيه . نوع من الكبرياء .

جال هذا بخاطر "چاكي" ، ولكن لم تقل شيئا ، فله الحق ان يفعل مايشاء .

وأشار "مالكوم" بإصبعه للصفحة، محاذرا ان يلمس اي صورة فيها، حتى لاتكون غير مايقصدها :

- "في هذه ، كنت اقص على "جابرييل" يوم ان انقذ "كاليب" من بين أيدي رجال الشرطة ، اتتذكرين " وطفق يقهقه للذكرى ، متمثلا وجه "كاليب" .

وكانت تذكر ، ولو عاشت للأبد ، لمافهمت ماالذي يدفع بـ"كاليب" ان يتصرف بتلك الصورة . لقد كان مختلفا عنها كل الاختلاف . لم يكن يعنيه كفاح أسرته المشترك ، ولا التعاون بين افرادها . كان يكره ان يكون مدينا لجده ، وكان يجد الفخر في ان يتصرف بنفسه ، ولكن القانون لايصدق الشاب المغرور ذا الثمانية عشر ربيعا ، حتى ولو كان يقول الصدق ، مادام قد افتقر إلى مظاهر حسن التربية . وكان الفضل لجدها ان "كاليب" لم يقض سوى ليلة واحدة في السجن بين السكارى ، وصغار اللصوص ، ومن هم أسوأ ، بسبب ماورط نفسه فيه من أعمال إجرامية خطط لها اثنان من اشد معارفه دهاء - فهي تذكر انه لم يكن له أصدقاء - وجعلا منه فيها كبش الفداء . وكان جدها سريعا في كشف الأمر ،واطلق سراح "كاليب" .

ورحل "كاليب" للكلية بعد ذلك بقليل ، ولم تخطر بباله كلمة شكر للرجل الذي جعل تعليمه أمرا متاحا .

وكانت تريد أن تشكر جدها على رعايته.. فقد كان دائما مهتما بهما. ومالت عليه ، وضغطت يده بشدة .

ورفع "مالكوم" بصره لها متحيرا :

-"هيه ، ماهذا ياانسة" .

- "لاشيء"

- "لاباس" وعاد لـ"جابرييل" يستكمل معه القصة " . "كان مغرورا كديك رومي، وكنت أود لو اتركه حيث هو ، ولكن "چاك" توسلت . فهي دائما تشعربالعطف تجاه الوحيدين ومن ضلوا الطريق" .

- "أحقا يا"چاكي" ؟ نظر إليها "جابرييل" ، متسائلا : أحقا انت كذلك؟

وتعجبت لماذا ينظر إليها هكذا ، كما لو كان يبحث عن إجابة لسؤال ما . ولكن ماهو السؤال ؟

واستطرد "مالكوم" :

- "وكان"كاليب" يمثل الاثنين ، الوحدة ، والضلال .ولكنه كان ايضا نؤوبا في عمله ، واعترف له بذلك ،دؤوب العمل ، وجهنمي الحظ" .

وقالت "چاكي" متنهدة :

- "من المؤسف انه لايحب ان يقتسم حظه مع العائلة" وتذكرت بقلق كومة الفواتير في الغرفة المجاورة .ومررت يدها على شعرها :

- "إن شيكا منه يمكن إن يرفع عنا الديون، حتى قبل ان تلد الأفراس. وبعدها يمكنني ان ارد لاخي طيب القلب مادفعه ، بالإضافة إلى الفوائد ، حتى وإن كان من الوجهة العملية .." ونظرت لجدها " ... إنه مدين لك بهذا المبلغ لقاءما انفقته على تعليمه" .

- "لست منتظرا منه شيئا" .

- "ولن تحصل منه على شيء" .

ولم يكن خافيا مافي صوتها من مرارة .

- "لقد طلبت انت منه" ولم يكن ذلك سؤالا من"جابرييل" ، ولكن افتراضا . وكان "سويتهارت" قد اتخذ لنفسه موضعا تحت يد "جابرييل" الممدودة ، وهو يربت بها رأسه .

- "نعم ، لقد طلبت منه" ونهضت تذرع الغرفة في ضيق" وكان الأسهل علي ان أطلب من مصلحة الضرائب ان تعفيني من الضرائب لعشر سنوات قادمة" .

وشاهد "جابرييل" السويتر القرمزي الذي ترتديه ينحسر عن صدرها ، فحول بصره إلى "مالكوم" على الفور ، مدركا انه ليس من حقه ان ينظر إليها من هذه الزاوية .ولكنه لم يكن بمقدوره ان يمنع نفسه . فقد كانت براعته في التحكم في تفكيره تتخلى عنه حينما يتصل الأمر بـ"چاكي" .

وقال "مالكوم" :

- "لست أدري كيف يختلف نصفا حبة فاصوليا كل منهما عن الآخر بهذه الدرجة . وزمجر "سويتهارت" ، وواصل "جابرييل" مسح شعره ،

وعلق قائلا :

- "امور كثيرة لاتفسير لها"

- "اخبرني بها" همست "چاكي" لنفسها بذلك، وهي تتطلع في وجهه ووجدته يتفرسها بفضول ، فنهضت . إنها لن تستسلم للسوداوية إنها قد منحت اجلا لما بعد اعياد الميلاد بشهر ، وهذا اهم مافي الموضوع .

- "بمناسبة التوائم ، كنت اتمنى لو كان لي توءم" واخذت ترفع اقداح القهوة "إن العمل في الجرن يحتاج لرجلين اخرين ، رغم انك تعمل بطاقة رجلين" . وفكرت كيف ان مطالب الضيعة لاتنتهي .

وقالت لنفسها وهي تتطلع لـ"جابرييل" ، "إنها تريده للضيعة" ، ثم استدارت فجاة ، واسرعت للمطبخ ، خشية ان يقرا افكارها" .

* * *

لم تكد تنتهي من تجهيز الفطور في اليوم التالي ، حتى دخل عليها "جابرييل" المطبخ . ولم يكن بمفرده فقد كان معه رجلان لم ترهما من قبل . ونظرت لـ"جابرييل" متحيرة ، تطلب تفسيرا . وسمعت كرسي جدها يقترب ، حتى طقطقت عتبة المطبخ وعجلات الكرسي تتخطاها .

- "من صديقاك هذان ؟" وتساءلت إن كان لديها مايكفي فطور فردين اخرين وفتحت الثلاجة ، تنظر مافيها من بيض .

- "لقد قلت البارحة إنك محتاجة إلى رجلين اخرين" .

وتوقفت يدها على كيس الخبز ، وحملقت إلي "جابرييل" . هل وجد رجلين في هذه الساعة ؟ ونظرت لساعة معصمها ، لم تتجاوز عشر دقائق بعد السادسة صباحا . من اين اتى بالرجلين الآن ؟ هل من اقرب عاصفة رعدية ؟

ولم يبد التساؤل مضحكا كما ارادت . وتنحنحت وهي تضع الخبز وامسكت بالسكين عريض النصل :

- "وهل اسماهما بالمصادفة "ميكائيل" ، ورافائيل" ؟ .

وحملق إليها الرجلان ، وحتى "جابرييل" اعترته الدهشة وسال :

- "كيف عرفت ؟"

وشعرت بجفاف حلقها وردت :

-"مجرد تخمين" .لم يكن ذلك صحيحا . إنه ملاك ، واحضر بعضا من رفاقه . ولاشك انها مصنفة في السماء تحت اسم المحتاجات لمعجزات جسيمة .

وتساءلت ماالعقوبة التي ستحل بها ، لانها فكرت في ملاك بافكار غير نقية .

وتقدم كل منهما بدوره ، يقدم نفسه لها ، رافعا قبعته .كان اقصرهما والاميل للسمرة ، "رافي سانتشز" والثاني ، "مايك ماكجوير" . عبر كل منهما عن سعادته برؤيتها، وردا بالمثل وهي تشد على يديهما، ومازالت ماخوذة بالموقف.

حلم ، كل هذا حلم . ونظرت لـ"جابرييل" بعينين متسعتين :

- "من اين اتيا ؟"

- "لقد اتصلت بصديقي ليلة البارحة ، وكانا يبيتان لديه بصورة مؤقتة"

- "نعم ، صديقك" لم تكن تدري ان الملائكة قد انشات شبكة تليفونية بينها وتعجبت من شانها ، ولماذا يبدو عليها الدوار هكذا ، بدلا من ان تسر لوصول المعونة التي كانت تسال عنها .

وزاد دوارها ، وخشيت ان تتهاوى ، فمدت يدها وراءها لتستند إلى شيء فلمست يدها الموقد ، وصرخت الما وهي تجذب يدها إلى فمها بصورة تلقائية. وامسك "جابرييل" بيدها ، واخذ بها للحوض حيث صب عليها الماء البارد ، معلقا :

- "كان بإمكان هذا الحرق ان يكون اسوا بكثير" .

وبقبلة منك ، كان سيشفى حالا . وتمكنت من حبس الكلمات بصورة ما . وقال "مالكوم" وهو يدفع بكرسيه لمنتصف الغرفة :

- "يالمقدرتك على إثارة الآخرين" .

كان على النقيض منها ، سعيدا بتطور الاحداث .

وكان يتوقع "جابرييل" منها ان تبدي نفس رد الفعل ، واخذ ينظر إليها ، فردت عليه بابتسامة باهتة ، واغلقت صنبور الماء .إن بمقدورها معالجة ذلك . نعم ، بمقدورها ذلك .

ربما .

وقال "رافي" :

- "اعلم ان الوقت لايزال مبكرا ، ولكنا قصدنا ان نبدأ في إزالة الركام باسرع مايمكن " .اخذ يردد النظر بين "چاكي" وجدها ، كما لو كان يتساءل ممن سياخذ الأوامر .

وحاولت "چاكي" ترتيب افكارها المشتتة . وحاولت ان تبدو طبيعية بقدر الإمكان وهي تقول :

- "إنني ممتنة لكما في الواقع ، ولكني حقا لاستطيع ان ادفع اجركما" .

- "الفطور ؟" سال "مايك" وهو يرفع حاجبيه الكثين اللذين يحتاجان إلى تهذيب بصورة ملحة

-"والمبيت؟" اكمل "رافي" التساؤل "هذا مااتفق معنا "جابرييل" عليه".

وفكرت "چاكي" ربما كان الملل قد اصابهما من العزف على القيثارة في السماء . او ان هذا امتع لهما . مهما كانت الاسباب ، فهي ستحصل على اقصى مايمكنها ، مادام كان ذلك متاحا بصرف النظر عما سيحدث بعد ذلك .

- "إنك تتركين القوم منتظرين يافتاة " . ونظر "مالكوم" لـ"جابرييل"

- "اتعلم ، لحظة ان وقع بصري عليك يا"جابرييل" ، علمت ان حظنا سيتحول" .

وردت "چاكي" في رقة :

- "نعم ، وانا ايضا" .

وراقبت الرجلين وهما يجلسان ، وهي كالمخدرة .

لم تكن لتامل في عمال افضل . مهارة اكتسبت خلال سنوات طويلة، لم تكن لتشك في انها قد تكون منذ الأزل . واظلت عينيها بيدها وهي تراقب "رافي" و"مايك" منهمكين في العمل في الجرن . وكانت قد اتجهت للمدينة بعد ان انقشع عنها ماحل بها لرؤيتها الرجلين وهناك تمكنت من إبرام صفقة بالاجل لما تحتاج إليه من اخشاب ومواد اخرى . وقد سارت كل الأمور غاية في اليسر .

او ليس هذا هو الحال منذ وصول "جابرييل" ؟

ولم يكن "رافي" و"مايك" و"جابرييل" ممن ينتظرون توجيها في عملهم. لقد بدءوا على الفور في إصلاح الجزء الشمالي من الجرن ، كاحسن مايكون النجارون ، بدلا من كونهم .. رعاة بقر متعطلين ؟ جوالين في البلاد وراء حظهم؟ ملائكة اصابهم الملل؟

واسقط في يدها . فقد عجزت عن الوصول لإجابة ، ولم يعد ذلك يهمها . إن الكريسماس على الأبواب ، وايامه ايام سعيدة ، ولن تشغل بالها إلا بذلك .

وكان هذا مااعتزمته . ، إلى ان وصل البريد عصر ذلك اليوم . وتطايرت الاحاسيس المبتهجة التي كانت تشعر بها فور ان قرات اول خطاب .

كان مكتوبا على الآلة بعناية فائقة . ونزلت ببصرها إلى ذيل الخطاب ، بالقرب من التوقيع فوجدت الأحرف الأولي لسكرتيرته . إنه قد فقد اللياقة ليخط الخطاب بيده .

لعنة الله عليه !

"اخبار سيئة ؟" والتفتت بسرعة ، ثم ذكرت نفسها انها كان عليها ان تتوقع وصوله بجوارها في تلك اللحظة . ولكن ليس بمقدوره ان يدفع عنها هذا الخطب بالذات. فقد استنفدت معونة السماء إلى هذا الحد.

- "ليست سيئة ، بل شنيعة" . ودست الخطاب في جيبها الخلفي بحنق . ولدهشتها ، وجدت "جابرييل" يسحبه ، ثم يمر ببصره عليه . ولم تعترض . فلن يكسب المرء شيئا من معارضة ملاك .

وطوى "جابرييل" الخطاب ، وكست وجهه مسحة من العبوس :

- "اهو جاد في هذا ؟"

- "إن "كاليب" "جاد دائما . وهذا جزء من مشكلته" . وتحركت ببطء ، موجهة بصرها للجرن حيث "مايك" و"رافي" على قدم وساق ، يعملان على إعادته كما كان . ولكن لاداعي لذلك الآن ، بل احرى بهما ان يسويا به الأرض ، وبالمزرعة، وبكل مايقع بصرهما عليه .

وخطا "جابرييل" وراءها :

- "ايمكن له ان يجر جدك في المحاكم ، ويطلب الحجر عليه بحجة العجز" . كان صوته يفيض بعدم التصديق . ولكن ، ماعلم الملائكة

www.liilas.com

بالألعاب الدنيئة ؟ وبالجشع في البشر؟

- "إنه هو القادر على ذلك . إنه محام قدير ، بصرف النظر عن أن جدي هو من صنعه هكذا بماله" . إنه يطالب بذلك ، باعتباره مالكا لثلث المزرعة" . وكورت يديها ، تتمنى لو دفعت بهما في كرش "كاليب" المترهلة . إن بطاقة عضويته في أشهر النوادي الرياضية هي للمظهرية فقط .

ولعقد الصفقات في أثناء مراقبة الآخرين يلعبون ، ويعرقون . إنه لايؤمن بالعرق ، أو بالعدالة . لايؤمن إلا بالفوز . "إن أرض المزرعة تساوي الكثير في السوق" .

- "ولكنك ذكرت أنه على درجة كبيرة من الثراء" .

- "ليس بالقدر الكافي بالنسبة له ، فهو لايفتأ يطلب المزيد" . وهزت رأسها إشفاقا وغيظا :

- "إن البنك لن ينال منا ، ولكنه سيفعل" . وعضت شفتها وهي تلتفت لـ"جابرييل" ناسية التفكير فيه ، وفي أي شيء آخر ، عدا الحاجة لشخص ترتكن إليه ، هذه المرة فقط

- "لايمكن أن أدعه يفعل ذلك بجدي . إن الإذلال سيقضي عليه" .

والقى "جابرييل" نظرة على عنوان المرسل قبل أن يعيد لها الخطاب . وكانت نظرته لها من الصعب فهم مغزاها ، ولكن لسبب غامض شعرت لها بالارتياح . ولكن كلماته التالية لم تقو هذا الشعور .

- "هل تمانعين في يوم راحة لي" .

- "لا" . فلاداعي للعمل بعد الآن . فـ"كاليب" يريد إنهاء هذا الأمر فورا ، قبل توجهه لقضاء "الكريسماس" في جزر "الباهاما" . لعنة الله عليه . وشعرت بالدموع الحارة تلسع عينيها .

ودعك "جابرييل" قفاه مفكرا ، وقال :

- "أيمكن أن تعيريني سيارتك؟"

ودهشت للسؤال :

- "أعتقد أنك ذكرت أنك لاتعرف القيادة" .

- "ليس تماما ، ولكن ليس لدي الوقت الكافي للقيادة" .

وهزت رأسها بدون أن تحاول التفكير في حاجته للسيارة ، أو لماذا

لاياخذ حصانه . لقد قال إنه يفضله . لقد فات أوان الأسئلة . ومدت يدها له بالمفاتيح ، بدون حتى أن تلتفت وهو يقود السيارة مبتعدا عنها .

وشدت كتفيها ، تفكر في تلك القشة ، التي قصمت ظهر البعير .

إنها تعلم ماذا هي فاعلة ، ستختلي بنفسها للبكاء لعشر دقائق ، ثم تخرج لتبدأ إقامة الزينات كالمعتاد ، كما أخبرت جدها بالضبط . إن أعياد الميلاد هي أسعد أوقاته ، كما هي أسعد أوقاتها . إنه يحب إنزال الزينات القديمة ، ويقص القصص التي حكاها مرارا وتكرارا ، ولاتمل هي سماعها منه .

سيكون آخر كريسماس "لهما في "لوس كابالوس" . وستعمل أن يتمتع به ، ولن تدعه يشعر بشيء ما . ربما تهتدي في الغد لوسيلة مالإخباره ، أو ربما لإقناعه ببيع المزرعة أخيرا .

ستجعله هو الذي يفكر في الأمر ، وكأنه رأيها هي . فكرت في ذلك وهي تصعد الدرجات للشرفة . ستوحي له أنها ملت ضرب رأسها في الحائط . وبذلك لن يكون هناك مبرر لـ"كاليب" لإقامة دعواه .

إنها تفضل الموت على أن يعرف جدها أن "كاليب" يريد الحصول على حكم ضده ، بعدم السلامة العقلية ، مالم يبع "مالكوم" الضيعة ويسلم نصيبه من ثمنها . إنها ستخرج قلب "كاليب" من بين جوانحه ، قبل أن تطفو هذه الحقيقة على السطح .

وتحسست "جاكي" الخطاب وهو يبرز من جيبها الخلفي ، وغمغمت لنفسها :

- "كريسماس سعيد" . ورنت الكلمات في أذنيها ، خالية من أي معنى .

الفصل الحادي عشر

انعكس وجه نار المدفأة على سطح الكرة المفضضة التي تمسكها في يدها . وتشتتت في انعكاسه نقاط متلألئة في غرفة المعيشة وكان الأثر ساحرا على "جاكي" وهي مستغرقة في التفكير .

إنه لم يذكر لها وجهته . ولم يعد في تلك الليلة . فهل رحل إلى الأبد؟

لا ، ليس قبل الكريسماس . وشعرت بانقباض في صدرها . ربما الأقرب أن يرحل ليلة عيد الميلاد ، ولكنها لن تحل إلا بعد عدة أيام ، وكانت تشعر بانه لايزال لديها بعض الوقت لكي تقضيه معه .

أين هو الآن ؟

وادخلت الخيط في ثقب الكرة ، ثم توقفت مرةاخرى ، مدركة أن ذهنها سارح إلى بعد سحيق . لقد رحل بعد وصول الخطاب مباشرة ، فهل احس بشعورها بالهزيمة هل نقلت له هذا الإحساس ؟ هل تشعر الملائكة بالهزيمة ، فتطوح عدة العمل جانبا وترحل حين تتازم الأمور ؟ هل لديها كم محدد من حسن الطالع ، ترحل بعد استنفاده ؟

كم من الأسئلة تجول في خاطرها . وشعرت بابتسامة مريرة على

شفتيها .

وفي ركن من الغرفة ، كان "سويتهارت" راقداً تحت قدمي جدها ، ممددا قدميه الاماميتين ويغط في سبات . وجدها يغط في النوم ايضا. ياله من منظر. وتطلعت "جاكي" لهما في حنان ، تجاهد الدموع في عينيها .

وتنهدت ، ولاتزال الكرة في يدها . وعاد تفكيرها إلى "جابرييل" . كيف يتركهما هكذا ، في غموض كما ظهر لهما ؟ وبسيارتها ؟ بدا هذا الجزء من القصة غريبا . ماالذي يفعله ملاك بسيارة جيب ؟ ليس في هذا اي منطق . لم تعد "جاكي" تدرك ماالمنطقي وماالخالي من المنطق .

ربما ليس ملاكا ، ربما هو سجين سابق طيب القلب .

ورفضت هذه الفكرة على الفور ، فالأسهل لها أن تتصوره ملاكا فهذا انسب له .

الشجرة ، عودي إلى عملك في هذه الشجرة ، وإلا فسيحين الكريسماس قبل أن تنتقلي للكرة التالية . وبعزم علقت الكرة ، ومدت يدها للاخرى .

وكانت في الصباح الباكر قد طلبت من "مايك" و"رافي" أن ياتيا لها بالشجرة - من المخزن حتى تبعد تفكيرها عن "جابرييل" . وهاهي ذي الشجرة منتصبة

-الآن في وسط غرفة المعيشة شامخة وضخمة ، وعارية، وصناعية.

وكان جدها قد سخر منها حين اشترتها منذ سنتين ، ولكنها نجحت في أن تجعله يرى الحكمة في ذلك . فقد كانت تكره قتل اي كائن حي ، وفكرة اقتلاع شجرة لتظل في المنزل اسبوعين لاغير ، كانت تسبب امتعاضها ، حتى وهي طفلة . وقد سلم جدها اخيرا بان الشجرة تبدو حقيقية .

ولكنها لم تكن كذلك . كانت زائفة .زائفة كحماسها في تلك اللحظات ، وهي تزينها . لقد كان الكريسماس ذا سحر خاص لها دائما . ولكن هذا العام ، ورغم كل مافعله "جابرييل" من أجلها ، كان الموسم لامعنى له ، بسبب ذلك التهديد المعلق فوق راسها .

ونظرت لساعة يدها . لقد نسيت كم عدد المرات التي نظرت فيها إلى

ساعتها منذ الصباح الباكر . وكانت الساعة تقترب من الخامسة ، ولم يكن "جابرييل" قد عاد ليلة أمس ، ولم تشعر بمدى تعودها وجوده إلا حين جلست للعشاء ، حين لم تسمعه يتحدث مع جدها في أثناء تناول القهوة . عندما ارتفعت الشمس فوق رأسها ، وهو ليس بجوارها في العمل . لم تكن تفتقد من يحادثها ، فهذا أمر تولاه كل من "رافي" و"مايك" . ولكن حديثهما بدالها خواء .

لم تدرك مدى مابداخلها من خواء ، حتى ملأ كل جوانحها ، كل روحها . ربما كان هذا ماتخاطر به . فكرت في ذلك وهي تفلسف الموقف . ربما يفقدها الإنسان حين يحاول إغراء ملاك . وقد كان هذا ماتحاوله في الكوخ بالضبط ، لولا الصاعقة التي انقضت محذرة إياها ، لتعيد إليها صوابها .

إذا لم يكن قد رحل إلى الأبد ، فاين هو الآن ؟ لقد كان دائما عند كلمته . وقد قال إنه سيعود ليلة أمس . وقد مر الآن أربع وعشرون ساعة من الوجهة العملية، ولم يظهر له أثر .

وشعرت بالدموع تتجمع في عينيها . دموع اليأس ، والحزن ، والإحساس بالعجز . وحمدت ربها أن جدها كان نائما . إنها لم تشعر من قبل بهذه المرارة، وذلك الضياع . وكان شاقا عليها أن تمسك نفسها عن البكاء . ووقفت كالمشلولة، والكرة الثانية في يدها .

- "لن تنتهي أبدا لو أخذت كل هذا الوقت ، لتحددي مكان كل كرة" .

ودارت حول نفسها ، وقد قفز قلبها إلي حلقها :

- "لقد عدت !"

وودت لو تلقي بنفسها بين ذراعيه ، أن تدفن وجهها في صدره ، أن تخلل شعره بأصابعها ، لتتأكد من أنه هو ، وأنه بالفعل هنا ، ولم يمنعها من أن تلقي بنفسها عليه إلا جهد خارق منها .

وخلع معطفه ، ووضعه بعناية على إحدى الأرائك :

- "أسف لقد استغرق العمل أكثر مما توقعت" .

وحاولت أن تبدو هادئة ، وهزت كتفيها :

- "يحدث هذا كثيراً" .

وبدأ يدخل الخيط في الكرات الباقية في الصندوق :

- "الاتريدين معرفة أين كنت؟"

نعم ، نعم . بالتأكيد أريد :

- "ربما تعلمت منك عدم إلقاء الأسئلة". ورأت ابتسامة سرور على شفتيه .

وناولها كرة حمراء، مقدما لها طرف الخيط التي ستعلقها منها أولا:

- "إنني أحبك كما أنت ، فضولية كثيرة الأسئلة" .

هل لديه فكرة ماذا يفعل بي ؟ ولماذا؟ لماذا يفعل ذلك ، إذا لم يكن بمقدورنا..؟

أم تراه بمقدورنا..؟ هل رحل من أجل ذلك .. أن يعرف إن كان بمقدورهما ..؟ وشعرت بنفسها وقد انتابتها التساؤلات ، حتي عجزت عن أن تنبس بكلمة .

- "حسنا" والتفتت تواجهه ، ولاتزال يدها قابضة على الكرة التي أعطاها لها:

-"أين كنت إذن؟"

ودفع بيدها إلى غصن الشجرة ، وراقبها وهي تعلق الكرة ، ثم هز رأسه موافقا ، قبل أن يجيب :

- "في "نيو بورت بيتش" وأخرج خطابا من جيب قميصه :

- "هذا معنون لك" .

- "هل أحضرت لي البريد؟" وتناولته منه ، والشك يملأ عينيها . ودخلت الشجرة في زوايا النسيان .

- "يمكنك أن تقولي ذلك . هل لديك مانع ؟"

ونظرت إليه من فوق حافة الخطاب .

- "لدي مانع في ماذا ؟" قل شيئا واضحا مرة ! إنني أتخبط في خضم من الغموض ، ولاأحد يرشدني !"

- "بالنسبة للشجرة . هل لديك مانع أن أساعدك في تزيينها ؟ لقد مرت دهور علي لم أزين فيها شجرة عيد ميلاد" .

وغمغمت :

- "أنا متأكدة من ذلك ، تفضل" .

كان الخطاب يحمل اسمها على الظرف ، ولاشيء غير ذلك . وكان

الخط مالوفا لها ، ولكنها لم تتمكن من تحديده على الفور .

واخرجت الخطاب . وسقطت منه ورقة ناصعة البياض ، مستطيلة الشكل ، وهبطت مرفرفة في سلام تحت قدميها . وانحنت لتلتقطها ، ثم فغرت فاها ، لقد كان "شيكا" . "شيكا" يحمل توقيع اخيها . ونظرت إلى "جابرييل" ، ولكنه كان منهمكا في تزيين الشجرة .

وكان مظهره يدل على ان مصير العالم معلق بقراره اين يضع الكرة التالية . وقد كان ذلك حريا ان يثير دهشتها ، لولا وجود ذلك الشيك في يدها .

ومرت ببصرها سريعا على سطور الخطاب :

- "كيف .. كيف حصلت منه على هذا" . وكان صوتها لايرتفع عن الهمس . وودت لو سالت :

- "كيف فعلت به هذا ؟"

وتوقف ، ونظر إليها . كان يريد ان يتمتع برؤية رد فعلها ، فهو يحب طريقة انفعالهابكل شيء ، واتساع عينيها حين تصيبها الدهشة إن كل مجهوده ليرتب لهذه اللحظة ، كان يؤتي ثماره تماما ، برؤيتها هكذا .

ثم عاد إلى الشجرة . وقد اوشك ان يعلق صبيا حاملا طبلته . وابتسم للصبي قبل ان يعلقه ، ورد بهدوء :

- "لقد اعطاه لي" .

- "كذا .. اعطاه لك" . وتلعثمت الالفاظ في فمها . وحملقت إليه ، وقد اصابها الدوار :

- "نون فوهة مسدس تضغط كرشه" . وردد بهدوء .

- "غير مسموح لي بحمل السلاح" .

- "بالتاكيد ليس لك ذلك" غمغمت وهي تقرا الخطاب للمرة الثانية ، ثم الثالثة لقد اخبرها ، باكبر قدر من الاقتصاد في الكلمات ، انه كاخ لها ، قد اعاد التفكير في الأمر وانه ربما من مصلحة الجميع ان تظل هي مع جدها يديران المزرعة ، افضل من بيعها وانه يرفق شيكا يفي بسداد القسط الثاني من الدين للبنك . وقد ذكر له "جابرييل" المبلغ . وان لهما ان يسددا قيمته وقتما يشاءان ، بدون فوائد !!

- "بدون فوائد؟ كررت وهي تحملق إلي "جابرييل" مرة اخرى . وطوت الخطاب ببطء ، ودسته في ظرفه .

- "هل كان على فراش الموت؟"

والقى "جابرييل" بحفنة من الفشار في فمه ، قبل ان يشرع في تعليق قطعة الزينة التالية .

- "بدا لي في احسن صحة" .

ووضعت يدها على جبهتها ، كما لو كانت هذه الحركة ستساعدها على ان تمسك بافكارها ، وتجعلها اكثر وضوحا :

- "انتظر . ماذا كنت تفعل هناك اصلا" .

ودار دورة حول الشجرة ، ثم اخذ ثلاث قطع . وجاء صوته لها وكانه لاينتمي لاحد ، وبدا بذلك اكثر ملاءمة :

- "كنت في زيارة له" .

وودت لو تدور وراءه ، ولكن قدميها عجزتا عن الحركة :

- "وهل تعرفه؟"

- "شعرت باني كذلك ، من كثرة ماحكاه جدك لي عنه" .

وسمعت صوت قطع الزينة تسقط من يده ، وشهيقه وهو ينحني ليلتقطها ، وبدا في ذلك طبيعيا ، ولكنها كانت تدرك انه ليس كذلك .

واطلقت زفرة ، واسترخت كتفاها وهي تقول :

- "مازالت غير فاهمة" .

وجفلت حين اتاها من الخلف ، ووضع يده على كتفها :

- "چاكي" والتفتت له ببطء :

- "الم يدر بخلدك قط ان بعض الامور تكون اكثر متعة ، حين لايسال المرء عن سببها" .

كان لايزال ممسكا بالتمثال في يده . وهبطت ببصرها إليه ، ورات انه ملاك . وهتفت في سرها بمرارة ، ياله من تمثال ملائم . صورة مصغرة .

- "ربما اراد اخوك ان يقدم شيئا سارا لكما بمناسبة العيد" . ومرر يده على خدها ، وشعر به يرتعش للمسته . وشعر بالالم يعتصره ، وكان يدرك انه لن يتخلص منه إلا حينما يخبرها . وربما يكون ذلك في

القريب العاجل .

وقال :

- "مما فهمته ، لقد جاء الشيك في وقته تماما" .

- "بل متاخراً كثيرا . فهذا دين في رقبته لجده منذ ان كان بالكلية ، ولكنه لم يكن يرى ذلك .. حتى الآن" .

وأخذت عيناها تتفحصان وجهه ، بما فيه من مستويات وزوايا . كانت ملامحه اخشن من ان تكون لملاك . عدا عينيه . إن عينيه هما اكثر شيء فيه ملائكية .

ومنذ متى كانت لك خبرة فيما تكون عليه الملائكة ؟

ربما لم يكن ملاكا على الإطلاق .

ولكنه يجب ان يكون كذلك ، فالشيك الذي في يدها خير برهان . فلايوجد على وجه الأرض بشر يمكنه ان يقنع "كاليب" بوضع جزء من ماله في تلك الضيعة الصغيرة للجياد ، كما تعود ان يصف "لوس كابالوس" . ولو كان في ذهنها اي شك ، لتبدد الآن . إن هذه اخر لبنة في الحائط .

وقالت له برقة :

- "لقد صنعت معجزة" . وانتظرت ان يؤيد ذلك ، او ينفيه . وودت من قلبها لو ينفي ذلك .

وهز كتفيه ، وقد ضايقه قليلا مظهر الامتنان منها :

- "اوليس هذا موسم المعجزات ؟"

وخلى سبيلها . ولو لم يفعل ، لضمها إليه وغاب في عطرها ، وفي رقتها ، متصورا ان الأمور ستتحسن . ولكنه كان خائفا ، لأول مرة منذ لحظة وجوده ، كان يشعر بالخوف . ماذا لو اخبرها ، وفقدها ؟ لو نظرت إليه مذعورة ،أو غير مصدقة ؟ إنه لايريد ان يسمح بمثل هذا الاحتمال ، ليس بعد . إنه يعلم ان هذا آت لامحالة ، وحالا . إن الأمور تقترب لان تخرج عن سيطرته ، ولكنه إلى الآن ، متحكم في الموقف . ويعلم انه مدين لها بالحقيقة ، قبل ان يحدث اي شيء بينهما .

- "الاتريد ان تنهي الشجرة ؟" وبدا صوتها غريبا على اذنيها . لقد اعتقدت انه مقدم على تقبيلها ، ولكنه لم يفعل . إن للملائكة قوة إرادة .

وليس لها ان تفهم مثل هذه الأمور ، فهي مجرد إنسان فان تمتلكه الرغبة .

وشق صوت شخير فضاء الغرفة ، فالتفتا معا ناحية "مالكوم" الذي كان شخيره قد ايقظه هو الآخر ، مع الكلب الذي قفز محتميا بقرب "جابرييل" .

وتحرك "مالكوم" بكرسيه تجاه "جابرييل" ، والسرور يشع في وجهه :

- "جابرييل" لقد كدنا نفقد الأمل . وظننا ان نسيم الحرية قد اغراك" .

وضحك "جابرييل" قائلا :

- "إن العمل معكم هو الحرية يا "مالكوم"

لقد كانت تحبه حين تكسو الابتسامة ملامحه جاعلة منه قمة الرقة ، وجاعلا قلبها يطن . وحاولت ان تحفر في ذاكرتها كل شيء عنه ، مدركة انها سوف تظل تحن له وقتا طويلا .

- "يسعدني ان يكون هذا شعورك" . واختلس نظرة لحفيدته ، وتظاهر بانه يخفض صوته :

- "ليتك رايت "چاكي" ، لقد بدت وكانها تدور حول نفسها" .

وحاولت ان تتجاهل ملاحظته ، ولكن تعابير وجه "جابرييل" استوقفتها . وشد انتباهها كيف انه يهمه اهتمامها به . وكان ذلك واضحا في عينيها . ونسيت ان تقرع جدها على وشيه بها .

وكانت ابتسامة "جابرييل" دافئة ، تعكس المشاعر التي تعتمل بداخله . إذن ، فهي مهتمة به . لقد احس بذلك في قبلتها ، ولكنه كان يكذب نفسه خصوصا وقد مر دهر طويل عليه منذ ان ضم فتاة إليه . منذ ان احب فتاة .

ربما هناك احتمال ان تقدر ظروفه .

- "ولفت "چاكي" ذراعها حول جدها ، وقد شعرت فجاة بالبهجة والتفاؤل :

- "لقد كان "جابرييل" في رحلة عمل ياجدي" .

وربت "مالكوم" تلقائيا علي يدها ، ودارقليلا بكرسيه ، ولكن نظره ظل معلقا بـ"جابرييل" .

وقررت ان تتركه يقرا الخطاب بنفسه ، فارسلته ووقفت قبالته ،

www.liilas.com

ملوحة بالخطاب

- "هذا لنا" .

واختطف منها "مالكوم" الخطاب :

- "لاتغيظي جدك الهرم" .

- "هرم" ورفعت "حاجبيها" :

- "ومتى حدث ذلك؟" وسمعت "جابرييل" يقهقه ضاحكا من خلفها .

كم اصبحت تحب كل شيء فيه ، ضحكته ، صوته ، حتى صمته .

واخذت تدعو في صمت "لاتتركني يا"جابرييل" ارجوك ابحث عن طريقة لتبقى معي" .

وفض "مالكوم" الظرف على عجل ، وانتزع منه الخطاب ، واخذ يضيق عينيه وهو ينظر إلى الخطاب ، وبحركة رشيقة انزلت "چاكي" نظارته المرفوعة على جبهته ، لتستقر على انفه . فنظر إليها متاهبا لان يقرعها على وقاحتها ، ولكن كلمات الخطاب وقفته ، وتقوس حاجباه .

- "لعنة الله علي .."

- "جدي ! يجب الا تلفظ بهذا امام "جابرييل" .

- "لماذا ؟" ورمى "جابرييل" بنظرة متفحصة :

- "إنه ليس قديسا . وقد سمع ماهو اسوا . اليس كذلك يابني؟"

وفتحت "چاكي" فمها ، ثم اغلقته . إنها سوف تسر لجدها بشكوكها فيما بعد . حين تتاكد من انه لن يسخر منها .

وكان "جابرييل" قد عاد لتزيين الشجرة ، مستمتعا بعمله ، فنظر خلفه :

- "منذ بدء خليقتي" .

وكانت تساله ، اكان هذا قبل الميلاد ام بعده ؟! . ولكنها تجاوزت عن هذا التعليق ايضا . فجدها مسرور ، والضيعة انقذت والأفراس حوامل و"جابرييل" ، إلى هذه اللحظة بجوارها وهذا هوكل مايهمها الآن . إن الكثيرات لايحزن ماتحوزه هي الآن .

ربما تصبح مثلهن قريبا . ولكن إلى تلك اللحظة ، لم يحدث ذلك . وعليها ان تستمتع قدر طاقتها بماهي فيه الآن .

ولوح "مالكوم" بالشيك :

- "اهذا نوع من الخدع؟"

وردت "چاكي" :

- "چابرييل" يقول إنه ليس كذلك"

- "كيف استطعت أن ..." ثم انفجر يضحك من كل قلبه ، وهو يضرب بالشيك على ركبته :

- "جابرييل" ، ايها الشيطان الخبيث . إن انت" .

وغمغمت "چاكي" وهي تفتح علبة كرات اخرى :

- "خطا مرة اخرى ياجدي" .

ومد "مالكوم" عنقه ليراها بصورة افضل :

- "ماذا؟" فردت بسرعة :

- "لاشيء" ، هيا تنجز هذا قبل حلول عيد الفصح يا"جابرييل" . احضر السلم من فضلك ، فسوف نزين اعلى الشجرة" .

واكملت له في سرها ، مالم تطر انت لتقوم بذلك . ولكن لم تنخفض معنوياتها لهذه الفكرة هذه المرة" .

وهز "جابرييل" راسه ، وبدا يذهب . ورات "چاكي" معطفه ملقى على الأريكة، فنادته :

- " لاتنس معطفك" ثم احست بسخف ماقالت . فالملائكة في الغالب لاتشعر ببرد أو حر .

ولكن "جابرييل" شعر ، او تظاهر بانه شعر . كان ذلك حين قبلها . وهي تستطيع التمييز بين قبلة الاحترام ، و قبلة الاندماج . و"جابرييل" كان مندمجا بكل المعايير ، حتى ولو كان ذلك ضد رغبته .

وعاد ليلتقط معطفه ، وبادلها ابتسامة قائلا :

- "شكرا" .

- "نحن لانريدك ان تمرض ، ويفوتك احتفال راس السنة" . وراقبته وهو يرتدي معطفه ، وشعره من الخلف يحتك بياقة المعطف ، ثم ينسدل على كتفيه ، وودت لو تمد يدها لتلمسه .

وابتسم ، ثم مضى .

وخطرت لها فكرة افزعتها . هل يمكن ان يطرد من السماء ، بسبب

المشاعر التي حركتها فيه ؟ وهل يكون هذا هو ردها للجميل ، على كل ماقدمه لهما ؟ أن تتسبب له في ذلك العقاب ؟

وماالذي تفعله الملائكة ، حين تطرد ؟ هل تتحول إلي بشر فانين ؟ وتصاعد هذا الأمل في نفسها ، ولكنها طردته على الفور . فلايمكن أن تتمنى له ذلك المصير.

ولكن ، ماذا عنها هي ؟ ماذا عنها لو رحل ؟ ولسعت الدموع عينيها . وتسربت دمعة مسحتها على الفور بغيظ . إن البكاء لن يفيدها . ولن يفيدها شيء آخر .

- "آهي دموع الفرح يا "چاك" . وكان صوته رقيقا ، ومتفهما ، ولايزال الخطاب في يده .

وردت :

- "نعم ، شيء من هذا القبيل" . وانصرفت للجانب الآخر من الشجرة تصارع شعور الوحدة الذي يحاول أن يمتلك روحها .

وعادت لتقول لنفسها ، إنه قد عاد . فاقنعي بذلك . ولم يكن أمامها من سبيل آخر .

الفصل الثاني عشر

-"سنقيم حفلة ، وستكون حفلة كاكبر ماتكون الحفلات . لست أدري ماحل بـ"كاليب" ، ولكني لن أسال" وكان صوت "مالكوم" يفيض بالفرحة وهو يعلن ذلك لـ"جابرييل" حين عاد بالسلم .

واضاءت الابتسامة وجه "چاكي" وهو يضع السلم ، وقد انحسرت عنها لحظة شعورها بالأسى لنفسها ، وحلت محلها مشاعر العرفان والراحة . إنها لن تخبر جدها ابدا بان "كاليب" كان ينوي إذلاله امام الناس .

والفضل في ذلك لـ"جابرييل" . وهي مدينة له ، كما تعرف ، بالكثير والكثير . لقد تحولت حياتها منذ ظهر ، وازدهر الأمل الذي كانت تضمه بين جوانحها ، حتى غدا حديقة فيحاء ، بعد أن لم يكن مكانه سوى الصحراء المقفرة .

لقد طفق يحقق لهم معجزات حقيقية ، واحدة تلو واحدة . ولكنه سوف يعجز عن أكبر معجزة يفعلها لها . لقد أحبته ، وليس على وجه الأرض من وسيلة إزاء ذلك . ليس على وجه الأرض ، ولكن ، ربما في

وابتسمت باسى لنفسها . إنها تشك في أن الملائكة من حقها التنازل عن صفتها فمثل هذه الأشياء لاتكون إلا في القصص الخيالية ، وليس في دنيا الواقع .

واستطرد "مالكوم" :

- "اريد إقامة الحفلة عشية عيد الميلاد . وسندعو كل أصدقائنا . لقد مضى عهد طويل لم ير هذا المكان حفلة " . ونظر إلى كرسيه" . منذ ابتعدت عن الرقص" . ولكن حتى هذه الحقيقة لم تخمد روح الحماس فيه هذه المرة :

-"حان الوقت لنضيء كل هذه الصالات . تدبري هذا يا"چاكي" بعد أن تسلمي هذا لـ"سوندرز" .

وهزت "چاكي" راسها ، ولم تسمع سوى ثلث ماقاله جدها . ودست الشيك في جيبها الخلفي .

وتفحص "جابرييل" تعابير وجهها ، وتعجب لأنه لم يجدها سعيدة . إن ابتسامة تظل علي شفتيها ، ولكنها لم تصل إلى عينيها تماما . فقد كانت عيناها تشعان حزنا . فلماذا ؟ قد يتصور أن الفرحة في قلبها قد تجاوزت حدها . فقد انحسر عنهما ماكان يهددهما . وقد فعل هو كل مافي استطاعته ليصلح أحوالهما ، لأنه يحبها ولم يكن يعتقد انه قادر على أكثر من ذلك . لقد كبت عواطفه عنها وقتا طويلا ، ولكن ذلك لم يتسبب إلا في اختفاء البريق من عينيها ، والابتسامة الوامضة التي تقول له إنه كان مخطئا في ذلك ، وتذكره بطعم الحياة حين يعود للاندماج فيها .

فقد كانت حزينة ، وهولايدري لحزنها سببا .

* * *

نظر "سوندرز" إلى"چاكي" نافد الصبر في اليوم التالي ، وهما يدخلان غرفة مكتبه ، لقد بدا واضحا انه سمح لهما بالدخول على مضض ، موقنا بان سبب زيارتهما هو استجداء مهلة أخرى :

- "چاكلين" يؤسفني انه ليس لدي سوى .." ونظر إلى الساعة المذهبة على مكتبه " "خمس دقائق لكما" .

- "ولن يستغرق هذا طويلا" . وقبل ان يبدي أي تعليق ، وضعت الشيك أمامه ولم يكلف "سوندرز" خاطره لينظر إليه إلا شزرا :

- "شيك يامستر "سوندرز" " . وكانت تتلذذ بكل كلمة تلفظها .

- "نعم ، أعلم . ولكن .."

- "لصالح جدي ، ومظهر للبنك . واعتقد أن المبلغ مضبوط . وكل شيء على مايرام" .

ودلتها عيناه في اتساعهما على انه لم يكن يعتقد أن المهلة التي قدمها لهما سوف تعينهما على السداد ، وان البنك قد اخذ يستعد لبيع الضيعة في، المزاد في نهاية يناير . وانه حدد انسب موعد لتجمع اكبر قدر من المزايدين . ليس لانه ذو قلب قاس ، او لانه كان سيفرح لذلك ، ولكنه كان امرا لابد من عمله .

ولكن هذه المرة ، كان "ليف سوندرز" مخطئا وهب الرجل واقفا، ونظر عبر "چاكي" إلى "جابرييل" ، ثم إلى "چاكي" مرة اخرى . ورات الدهشة تملأ عينيه ولاحظت انه تحاشى النظر في عيني "جابرييل" .

إن هناك شيئا مافي عينيه ، واحست أن "سوندرز" يشعر بذلك . وحاولت أن تركز على الجانب الإيجابي ، فسيكون أمامها متسع من الوقت للجانب السلبي فيما بعد . حينما يذهب "جابرييل" . وسيحدث هذا قريبا . إنها تدرك ذلك . وتحسه بقلبها ، لقد تحققت كل المعجزات التي كانت تصلي من اجلها .

عدا واحدة .

وقال "سوندرز" في صوت عميق :

- "انت لاتدركين مدى سعادتي برؤية هذا يا"چاك" . كان هذا الصوت محجوزا للعملاء الذين يدفعون في الميعاد . وكانت السعادة واضحة على وجهه .

- "ليس اقل من سعادتي وانا اقدمه لك . إن هذا يسوي حسابنا بالكامل" . وكم امتعتها هذه الكلمات القليلة وهي تنطق بها .

- "نعم ، نعم ، إنه لكذلك" . وبحركة آلية قلب الشيك وراجع تظهيره ، ووجد أن كل شيء على مايرام ، ، وازدادت ابتسامته اتساعا . لقد ولى الماضي إلى غير رجعة .

- "ارجوك لاتترددي في الاتصال بنادائما . فالبنك مفتوح لمن هو مثلك ومثل جدك" .

نعم ، هذا حق رغم كل ذلك . فالرجل لم يكن إلا مؤديا واجبه ... حرفيا . وهزت يد الرجل قائلة :

- "سوف افعل" ثم استدارت" وهمست لـ"جابرييل" وهي تبتسم :

- "واتمنى الا اعود إلى هذا المكان ، إلا كمودعة" .

وفجاة ، سمعت نفسها تهتف بعد ان وقفت واخذت نفسا عميقا من هواء الشتاء البارد ، المنعش :

- "احرار يا"جابرييل" لقد صرنا احرارا ، رباه ، ياللروعة" .

وشبك "جابرييل" اصابعه باصابعها ، وشعر بان يدها تكاد تنتمي له ، وانه ينتمي لها . وان مكانها الصحيح ، هو ان تكون مستقرة داخل يده .

- "افهم تماما ماتقصدين" .

وتوقفت لتنظر إليه . لقد قال ذلك بكل جدية ، فهل كان يشير إلى طبيعة الملائكة ؟ وتصورت مشهداً لملائكة مصطفين ، يستمعون لملاك يتلو عليهم المهام الموكلة بهم . وهذا الملاك يتقدم متطوعا للمهمة المتعلقة به . ووضعت يدها على فمها لتكتم الضحك . لقد كان كل شيء رائعا . وبدا كل شيء حلوالمذاق في تلك اللحظة . الحرية واليوم ، ويدها في يده .

وسالته فجاة ، وهي تشد بيدها على يده :

- "هل ستبقى معنا إلى حفلة عشية عيد الميلاد" . وظلت قابضة على يده ، وكان هذا سيمنعه من الرحيل ، لو كان من الواجب عليه ذلك" .

- "ولماذا لاابقى؟" فهزت كتفيها:

- "ليس من سبب محدد" .

لماذا تشك انه سيرحل ؟ أم تراها تود ذلك ؟ لا . إنه يعرفها الآن جيدا وكان سيعرف لو كانت تود رحيله . ولكن ، ماذا تقول عيناها بالضبط؟

وقرر ان يخبرها بكل شيء ، عشية عيد الميلاد .

* * *

بدت الأيام في عيني "چاكي" وكانها مرت كالريح ، فقد اقبلت ليلة عيد الميلاد ، قبل ان تتمالك عقلها، او قلبها . واهتمت اهتماما بالغا بملبسها لتلك الليلة . وكان "فرانك بورجان" قد أرسل طباخا ليجهز للحفلة . لكم هو إنسان طيب . كل مافي الأمر ، انه ليس لها ولا "جابرييل" ايضا . فعلى الاقل "فرانك" إنسان ، اما "جابرييل" ، فليس من البشر ولو كان قد تبقى لديها شك في ذلك ، فإن ذلك الشيك من "كاليب" حري بان يبدده .

واسترسلت في افكارها وهي تمشط شعرها . إن كان "جابرييل" كائنا غير بشري ، فإنه على الرغم من ذلك هو من تتمناه .

وارتدت ثوبا معطرا يكشف عن كتفيها ، ويضيق عند خاصرتها ، ثم يهبط في حرية إلى مافوق ركبتيها . إنه لم يرها قط مرتدية ثوبا ، بل كان يراها دائما في جينز وبلوزة . وقد قررت ان ترتدي ثوبا يسيل لعابه .. إن كان هذا ممكنا .

وتطلعت إلى صورتها في المراة . ورات يديها ترتعشان ،ونهرت نفسها ، متذكرة ان الملائكة لاتنفعل بما يلبسه البشر .

ولكنها ظلت غير مقتنعة . يجب ان يكون هناك شيء ما شيء ما له اثره . ماهو ؟ إنها لا تدري .

ووضعت قرطا كبير الحجم في اذنيها ، ونظرت إلى لمعانه في الضوء . لقد كان لامعا ، ووجدت في ذلك شيئا من السلوان . ووضعت قدميها في حذاء عالي الكعب ، واخذت نفسا عميقا ، ثم خرجت لتنضم إلى الحفلة .

وما إن فتحت باب غرفة نومها ، حتى جاءها صوت الضحك والضوضاء امواجا ، ولكنها لم تكن تعي شيئا من ذلك إلا بالكاد . فقد كان كل همها ان تجد "جابرييل" لتقضي معه كل الوقت المقرر لهما ان يقضياه معا .

وكان واقفا في الجانب الآخر من غرفة المعيشة ، ولمحها فور ان دخلت ، رغم من كان يفصلهما من الافراد . وكان سيلمحها ولو كانت ترتدي خيشا ومغبرة بالرماد . ولكنها لم تكن كذلك .إن رداءها في بساطته ، كان يبرز كل بوصة من انوثتها ، وجعله يدرك مرة اخرى

مدى رغبته فيها . وكان وجهها غير عادي تلك الليلة . فقد اختلطت نظرة البراءة في عينيها بمظهر امراة جميلة ، تعلم من تريد وماذا تريد .

أيكون هو ، بعد أن يقص عليها كل شيء ؟

وراته ، أواحست به ينظر إليها . أيعجبه مارأى منها ؟

إنها لاتدري البتة ، كيف تجعل ملاكا يعشقها .

وقبل أن تتجه إليه ، اندمجت في الحفل ، إذ اقبل عليها الأصدقاء مهنئين ومعبرين عن تمنياتهم بالسعادة بمناسبة راس السنة .

ونظرت إلى "جابرييل" . هناك شيء واحد يجعلها سعيدة في راس السنة .

واستمرت الحفلة ساعات ، ومن الصعب أن يخلو المرء بنفسه في تلك الظروف. فالجو بهيج ، ولم تكن مناسبة راس السنة إلا احد عناصر تلك البهجة. وأخيرا ، تمكنت من أن تنسل من الجمع ، واكتشفت انها محتاجة إلى الهواء ، وشيء من الهدوء والسلام الداخلي ، لتجمع شتات نفسها .

إنه موشك على الرحيل .

ورفعت بصرها إلى السماء ، معجزة اخيرة فقط ! وبدت السماء كاول ليلة ظهر فيها بالضبط . أواه ! وهزت راسها ، وقد بدا الياس ينهش قلبها .

- "ماذا تفعلين هنا ؟"

والتفتت في دهشة . فارخى شالا على كتفيها . نهاية مؤثرة ، اتكون هي النهاية ؟ ارجو الا تكون كذلك .

- "أحاول ترتيب افكاري" .

كان قد اخذ يتاملها فترة قبل أن يحدثها ، وبدت له غاية في الجمال، فلم يشا أن يزعجها . ولكنه اخذ على نفسه عهدا ، وهاهي ذي ليلة راس السنة توشك أن تنقضي .

إنه يشعر بتجاذب شديد بينهما ، واثار وجودهما معا بالخارج رغبة عارمة في أن يضمها ، أن يبثها حبه ، وأن يرى في عينيهانظرة الرغبة التي سبق أن راها فيهما في الكوخ .

ومر بسلاميات اصابعه على خدها :

- "ماالذي يشغل تفكيرك بهذا القدر؟" وهمست :

- "انت" ، داعبت همستها صفحة وجهه .

- "ولهذا تبدين حزينة ؟" وتقدم يريد أن يطبع قبلة على شفتيها . قبلة واحدة قبل أن يصرح لها بالحقيقة .

وتراجعت عنه ، تتوسل إليه في صمت الا يعذبها بذلك .

- "نعم" .

ونظر إليها مليا . إن اللحظة اتية . وهو يعلم انها كانت اتية لاريب، ومع ذلك يلزمه أن يتحمل مواجهتها . لقد وعد ، ولم يكن بالذي يتراجع عن وعد منه .

- "جاكي" ، ما الخطب ؟"

ونظرت إلى اسفل ، شاعرة بالضياع ، وبالياس "لايمكن أن نستمر هكذا" .

واخذ نفسا عميقا :

- "إذن فقد عرفت" .

واجهشت بالبكاء :

- "نعم" ، إنه أوشك أن يعترف لها ، يعترف ، ثم يختفي من حياتها . وهدد الالم الذي يعتصر صدرها بان يشمل كيانها كله .

إذن ، فالأمر مهم لها . وقاوم ليتغلب على مشاعر الياس داخله .

- "وكيف عرفت ؟"

- "كيف عرفت" . "وتخاذل صوتها وهي تنظر إليه . "إنه امر جلي". ثم ضحكت باسى .

- "كل مرة اتلفت فيها ، أجد شيئا يشير إليه . كل مرة احاول تكذيب نفسي ، أجدك تفعل شيئا يؤكده. لن استطيع أن اتحمل أكثر من ذلك".

ولم يكن يفهم حرفا مما تقول . فلم تكن لديه ادنى فكرة عن اي شيء تتكلم ، وتيقن من انهما لايمكن أن يتكلما عن نفس الشيء . ربما كان هذا شانهما دائما .

وامسك بذراعها :

- "جاكي" ، ماالذي تتكلمين عنه؟"

www.liilas.com

- "إنك ملاك ولست بشرا" . وكان صوتها يقترب من الصياح . لماذا يتلاعب بها هكذا ؟ أيسره ذلك ؟ لا . إن الملائكة لاتتصرف هكذا . على الأقل ، ليس ملاكها .

ولعدة دقائق ، لم يكن بينهما سوى الصمت ، مع خلفية بعيدة من الحفلة . واقترب نبضها من دوي الطبل .

وحين عاد لرشده أخيرا ، لم يتمالك إلا أن يهمس :

- "ماذا ؟"

- "لقد سمعتني" وكان صوتها أجش ، حتى في أذنيها . وتزايد الم حلقها .

- "إنك جادة" . لم يكن هذا سؤالا ، بل تقريرا مغرقا في الدهشة .

وهزت رأسها في بلاهة .

وفجأة ، اندفع في الضحك لدرجة اعجزته عن الكلام عدة دقائق . وتملكتها الدهشة لهذا التصرف . واقبل عليها وهو مغرق في الضحك يضمها إليه . وشعرت بضحكه يتردد داخلها .

وسالته :

- "ماذا يضحكك" . الم يكفه مافعله بها ؟ وماهي مقبلة عليه من تعاسة . أفي ذلك شيء مضحك ؟

- "رباه" شهق "جابرييل" وهو يمسح الدموع من عينيه من شدة الضحك" لقد أطلقت علي اسماء عديدة طوال حياتي ، ولكن ... لم يسمني أحد ملاكا . من أين ؟" ثم عاد يغرق في الضحك من جديد :

- "من أين واتتك هذه الفكرة" .

ونظرت إليه متشككة :

- "حسناً" . وبدات تزد عليه ، بدون أن تعطي نفسها املا فربما غير مسموح له بان يكشف عن طبيعته

- "أولا ، هناك اسمك" .

- "أمي مغرمة باسم "جابرييل" . والملقب بالطيب اسم والدي ، ماذا في ذلك؟"

- "ولكنه اسم غير مالوف" .

- "ليس بين الهنود . الم تسمعي عن قبيلة "النافاجوس" يا "چاكي" ؟"

وكانت ابتسامته عذبة ، رقيقة . لقد كانت فاتنة ، ولم يكن يعرف أن حبها اكثر من حبه لها في تلك اللحظة .

- "بلى ، سمعت" ثم توقفت ، قبل أن تساله :

- "هل أنت من "النافاجوس" ؟"

- "نصفي فقط" .

وراحت في تفكير عميق . إن هذا يفسر كثيرا من الاشياء لو كان هذا حقا .

- "وهل هذا سبب جانبيك لـ"سويتهارت" والجياد؟" .

وهز راسه :

- "كاغلب افراد قبيلتي . كما اننا نعتبر التنافس نوعا من سوء الأدب" .

نعم ، لقد سمعت شيئا من هذا القبيل .

- "حسنا ، ولماذا ليس لك أن تشارك في الانتخابات ؟"

وساد صمت طويل قبل أن يجيب :

- "إنني محروم من هذا الحق" . واشاح بعينيه عنها . فهذا هو السر الذي كان بصدد أن يكشفه لها :

- "كمحكوم عليه سابق" .

وكررت :

- "هل أنت محكوم عليك سابقا ؟"

وكان صوتها ينم عن دهشة ، ولكن ليس الازدراء أو التقزز الذي كان يخشاهما . إنها لن تناى بنفسها عنه ، وربما تفهمت موقفه .

ووضع كلتا يديه على سياج الشرفة ، ناظرا ليس إليها ، ولكن إلى السماء ، يستمد منها العون . لم يكن بالشخص الذي يشرح نفسه للغير ، ولكنه محتاج إلى أن يفعل ذلك الآن لها .

- "لقد اندمج أخي الأصغر مع بعض المنحرفين منذ سنوات طويلة . أنت تعرفين صغار السن . يعتقدون أن بينهم وبين العالم شيئا بسبب ظروف حياتهم" . وبدا شيء من المرارة في ابتسامته ، سرعان ما اختفت . "إننا في التسعينات ، ولكن الحياة لدينا لم تتغير من مائة عام . حياة مليئة بالآلام والشعور بالهوان" .

www.liilas.com ريما

ولكن ليس بالنسبة لك . قد تكون شعرت بالألم ، ولكن ليس بالهوان قط . وانتبهت إلى انها مصدقة إياه في تلك اللحظة .

- "وكان "لوكاس" معهم حينما اقتحموا محل بيع الخمور ، مدججين بالسلاح، ولكن لم يصب أحد بسوء لحسن الحظ . كنت اعرف أن "لوكاس" لن يتحمل حياة السجن ، ولن يخرج منه حيا لو قبض عليه ، وكانت الحلقة تضيق حوله " .

وهز كتفيه يحاول التظاهر باللامبالاة ، ولكنها لمحتها فيه .

- "وكان مخططا ان يكون كبش الفداء ، وبالضبط كحالة "كاليب" اخيك " ونظر في عينيها :

- "وتحملت انا وزره ، ثلاثة اعوام من السجن ، وقت كاف لأن يثوب إلى رشدة ، واعتبرت ذلك احسن مكافاة لي على تضحيتي . ودخل "لوكاس" الجامعة . وسوف يكون له المستقبل . وفي هذا عزاءلي" .

ورات انه خليق به ان يفعل ذلك . فهو خير من يضحي بنفسه من اجل إنقاذ غيره

واستند إلى السياج ، متطلعا إليها .

-"وهذا ماعنيته حين قلت إن النظام يمنعني من الاشتراك في الانتخابات ، اقصد النظام القضائي" . وتبسم في وجهها ، فراها لاتزال غير مقتنعة .

- "وماذا بعد ؟ "

- "ميكائيل" و"روفائيل" ؟ هذان اللذان اتيا من حيث لاندري" .

وعاد يغرق في الضحك للمفارقة في الأسماء :

- "مجرد اناس كانوا يمرون بظروف صعبة ، لم يرضيا ان يظلا عالة على صديقي" .

- "ثم مد مهلة القرض ، وهذا شيء لن يفعله "سوندرز" لأمه"

- "بل سيفعل ، حين يذكر له ان اعياد الميلاد على الأبواب ، وان طرد شخص كـ"مالكوم" من ضيعته في هذه المناسبة سيجر من الاستهجان والاستياء الشيء الكثير على البنك ومديره" .

- "وهل قلت هذا لـ"سوندرز؟ "

- "بافصح مايكون البيان" .

www.liilas.com ريما

وخبطت كفا بكف وهي تغرق في الضحك . لكم كانت تود أن ترى وجه "سوندرز" وهو يواجه شخصا كهذا . ولكن العقدة التالية كانت اشد تعقيدا

- "وكيف جعلت "كاليب" يغير رأيه بالنسبة لبيع الضيعة ؟ كيف جعلته يبعث بالنقود ؟ بل لو كنت ملاكا حقا لكان قد القى بك خارج مكتبه لواقترحت عليه ذلك" .

- "وقد كاد بالفعل يفعل . ولكن "مالكوم" كان قد حكى لي الكثير عنه . وقد لمحت له بإمكاني أن افشي ماضيه لشركائه" .

وشهقت :

- "ابتزاز؟"

بصورة ما ، هل لديك اعتراض؟"

- "مارايك انت ؟" وكانت تحس بعينيها تشرقان" يا لـ"كاليب" المسكين. لابد انه كان يريد ان يفعل بك الأفاعيل" . ثم صمتت قليلا مفكرة :

- "وماشان ماكان يحدث كلما اردت تقبيلي؟ "

لقد استولت الفكرة على ذهنها بلاشك . قال لنفسه هذا في إشفاق .

- "مجرد مصادفات يا"جاكي" ، لاأكثر ولاأقل" ومس خدها برقة :

- "هل اقتنعت الآن؟"

- "تقريبا" ووضعت يدا على كتفه ، ونظرت في عينيه :

- "ومن كان الرئيس الذي كنت تخاطبه ، ليلة احضرت لك الغطاء؟ "

- "ماذا ؟" وتصور انه لم يسمعها جيدا .

واندفعت تشرح له رغم إحساسها بحماقتها ، وسقط الشال عن كتفيها من فرط تحمسها :

- "لقد رايتك في الحظيرة ، تناقش مشاكل المزرعة مع من كنت تدعوه بالرئيس" .

واخذ ينظم الشال على كتفيها بعناية ، وعيناه تشعان بالضحك :

- "الا تتحدثين مع جيادك ابدا؟ "

- "جيادك؟ "

- "ومن كنت تتصورين اني اخاطب ؟"

واسدلت عينيها ناظرة إلى الأرض :

- "رباه" .

ووضع إصبعا تحت ذقنها ، ورفع وجهها :

- "لو كنت فاعلا ذلك ، فسيكون لكي اشكره ان ادخلك في حياتي" .

- "حسنا ، شيء اخير ، ماذا كنت تفعل في الكنيسة ؟"

- "مثلك بالضبط ، ادعو من اجل معجزة" . واخذها بين ذراعيه :

- "بالنسبة لي ، لقد وجدتها " . وتحولت ملامحه للجد .

"إنك بدايتي يا "جاكي" ، انت الحقيقة وانت القدر . إنك معجزتي ، وقد علمت هذا لحظة ان وقعت عيناي عليك "لقد صادفت الجحيم في حياتي ، واريد الآن حظي من الفردوس . ولكن ليس كملاك . فلن يريدك اي ملاك مثلما اريدك انا"

وابتسمت :

- "وكيف ستحقق غرضك ؟"

- "حسنا ، لقد اتفقت بالفعل مع جدك ، وقبل ان اريحك منه" .

- "اوقد فعل؟"

(تمت بحمد الله)

ريما www.liilas.com